۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

قال اللّه في عقوبة قومه:

(وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)

أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم فننزل جندا من السماء لإتلافهم،

(وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ)

لعدم الحاجة إلى ذلك، و عظمة اقتدار اللّه تعالى،

و شدة ضعف بني آدم،

و أنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب اللّه يكفيهم

***قَالَ قَتَادَةُ:-فَلَا وَ اللَّهِ مَا عَاتَبَ اللَّهُ قَوْمَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ،

(إِن كَانَتْ)

أي: كانت عقوبتهم

(إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً)

أي: صوتا واحدا، تكلم به بعض ملائكة اللّه،

(فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ)

قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم،

و انزعجوا لتلك الصيحة،

فأصبحوا خامدين، لا صوت و لا حركة،

و لا حياة بعد ذلك العتو و الاستكبار،

و مقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح، و تجبرهم عليهم.

قال اللّه متوجعا للعباد:–

(يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ)

***أَيْ يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا،

عَلَى مَا ضَيَّعَتْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، و فَرَّطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ.
وَ مَعْنَى هَذَا: يَا حَسْرَتَهُمْ وَ نَدَامَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا الْعَذَابَ،
كَيْفَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ، وَ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ،
فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا الْمُكَذِّبُونَ مِنْهُمْ.

○أي: ما أعظم شقاءهم، و أطول عناءهم، و أشد جهلهم،

حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء و عذاب و نكال.

(مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)

***يُكَذِّبُونَهُ وَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَ يَجْحَدُونَ مَا أُرْسِلَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾
وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾

(أَلَمۡ يَرَوۡاْ)

يقول تعالى: ألم ير هؤلاء و يعتبروا

(كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم)

بمن قبلهم

(مِّنَ ٱلۡقُرُونِ)

*الامم

○المكذبة،

التي أهلكها الله تعالى و أوقع بها عقابها،

(أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ)

و أن جميعهم قد باد و هلك، فلم يرجع إلى الدنيا، و لن يرجع إليها

(وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)

و سيعيد اللّه الجميع خلقا جديدا، و يبعثهم بعد موتهم،

و يحضرون بين يديه تعالى،

ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة

(وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)

***وَ مَعْنَى هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{وَإِنَّ كُلا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ}
[هُودٍ: ١١١] .

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

أي: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ)

على البعث و النشور، و القيام بين يدي اللّه تعالى للجزاء على الأعمال،

هذه (ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ)

أنزل اللّه عليها المطر

(أَحۡيَيۡنَٰهَا)

فأحياها بعد موتها،

(وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ)

من جميع أصناف الزروع،

و من جميع أصناف النبات، التي تأكله أنعامهم

(وَجَعَلۡنَا فِيهَا)

أي: في تلك الأرض الميتة

(جَنَّٰتٖ)

أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة،

و خصوصا النخيل و الأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار

(وَفَجَّرۡنَا فِيهَا)

أي: في الأرض

(مِنَ ٱلۡعُيُونِ)

جعلنا في الأرض تلك الأشجار، و النخيل و الأعناب،

(لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ)

قوتا و فاكهة، و أدْمًا و لذة،

(و) الحال أن تلك الثمار

(وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ)

❍و ليس لهم فيه صنع، و لا عمل،

إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، و خير الرازقين،

❍و أيضا فلم تعمله أيديهم بطبخ و لا غيره،

بل أوجد اللّه هذه الثمار، غير محتاجة لطبخ و لا شيّ،

تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في الحال.

(أَفَلَا يَشۡكُرُونَ)

من ساق لهم هذه النعم،

و أسبغ عليهم من جوده و إحسانه، ما به تصلح أمور دينهم و دنياهم،

أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها،

فأنبت فيها الزروع و الأشجار،

و أودع فيها لذيذ الثمار،

و أظهر ذلك الجنى من تلك الغصون،

و فجر الأرض اليابسة الميتة بالعيون، بقادر على أن يحيي الموتى؟

بلى، إنه على كل شيء قدير.

(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا)

أي: الأصناف كلها،

(مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ)

فنوعٍ فيها من الأصناف ما يعسر تعداده

(وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ)

فنوعهم إلى ذكر و أنثى، و فاوت بين خلقهم و خُلُقِهِمْ،

و أوصافهم الظاهرة و الباطنة.

{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذَّارِيَاتِ: ٤٩] .

(وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ)

من المخلوقات التي قد خلقت و غابت عن علمنا،

و التي لم تخلق بعد،

فسبحانه و تعالى أن يكون له:-

شريك، أو ظهير، أو عوين، أو وزير، أو صاحبة، أو ولد، أو سَمِيٌّ، أو شبيه،

أو مثيل في صفات كماله و نعوت جلاله،

أو يعجزه شيء يريده.

وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

***وَ مِنَ الدَّلَالَةِ لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ خَلْقُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ،

هَذَا بِظَلَامِهِ وَ هَذَا بِضِيَائِهِ، وَ جَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ،
يَجِيءُ هَذَا فَيَذْهَبُ هَذَا، وَيَذْهَبُ هَذَا فَيَجِيءُ هَذَا، كَمَا قَالَ:
{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} [الْأَعْرَافِ: ٥٤]
***وَ لِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ هَاهُنَا:-

(وَءَايَةٌ لَّهُمُ)

على نفوذ مشيئة اللّه، و كمال قدرته، و إحيائه الموتى بعد موتهم.

(ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ)الاعجاز العلمى

أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض،

فنبدله بالظلمة، و نحلها محله

(فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ)

و كذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم و شملتهم،

فتطلع الشمس، فتضيء الأقطار، و ينتشر الخلق لمعاشهم و مصالحهم،

و لهذا قال:(وَٱلشَّمْسُ)

دائما

(تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ)

قدره اللّه لها، لا تتعداه، و لا تقصر عنه،

و ليس لها تصرف في نفسها، و لا استعصاء على قدرة اللّه تعالى.

*** {لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ } قَوْلَانِ:-

أَحدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ: مُسْتَقَرُّهَا الْمَكَانِيُّ، وَ هُوَ تَحتَ الْعَرْشِ

صحيح البخاري

٤٨٠٢ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺقَالَ:

كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي المَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ

فَقَالَ:-«يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟»

قُلْتُ:-اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ:-«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ»،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعَالَى:-

{ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ } [يس: ٣٨]

*** صحيح البخاري

٤٨٠٣ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: ٣٨]

قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ»

***وَ الْقَوْلُ الثَّانِي:-

أَنَّ الْمُرَادَ بِمُسْتَقَرِّهَا هُوَ: -مُنْتَهَى سَيْرِهَا،

وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَبْطُلُ سَيْرُهَا وَ تَسْكُنُ حَرَكَتُهَا وَ تُكَوَّرُ،

وَ يَنْتَهِي هَذَا الْعَالَمُ إِلَى غَايَتِهِ،

وَ هَذَا هُوَ مُسْتَقَرُّهَا الزَّمَانِيُّ

***صحيح البخاري :-

٣١٩٩ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:-

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»

قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ:"فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ،فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا

وَ يُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَ تَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا
يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا،
فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعَالَى:{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ}
[يس: ٣٨]

(ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ)

الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، و أحسن نظام.

(ٱلۡعَلِيمِ)

الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، و منافع في دينهم و دنياهم.
***بِجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَ السَّكَنَاتِ،
وَ قَدْ قَدَّرَ ذَلِكَ و قَنَّنَه عَلَى مِنْوَالٍ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَ لَا تَعَاكُسَ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الْأَنْعَامِ: ٩٦]

(وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ)

ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة
***جَعَلْنَاهُ يَسِيرُ سَيْرًا آخَرَ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى مُضِيِّ الشُّهُورِ،
كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ يُعْرَفُ بِهَا اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}
[الْبَقَرَةِ: ١٨٩]

وَ قالَ{هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} الْآيَةَ [يُونُسَ: ٥]

وَ قالَ:-{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا} [الْإِسْرَاءِ: ١٢]

(حَتَّىٰ)

يصغر جدا،

(عَادَ)

فيعود

(كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ)

أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش و صغر حجمه و انحنى

ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئا فشيئا، حتى يتم نوره و يتسق ضياؤه.

***الميسر:مثل عِذْق النخلة المتقوس <u>فـــــــي:-</u>**

الرقة و الانحناء و الصفرة؛ لقدمه و يُبْسه.

Oوَ كُلٌّ من الشمس و القمر، و الليل و النهار، قدره الله تقديرا لا يتعداه،

و كل له سلطان و وقت، إذا وجد عدم الآخر،

و لهذا قال:-(لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ)

***الميسر:تلحق**

(ٱلۡقَمَرَ)

أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن أن توجد الشمس في الليل،

(وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ)

فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه

(وَكُلٌّ)

من الشمس و القمر و النجوم

(فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ)

***الجزائري :يسيرون**

أي: يترددون على الدوام،

فكل هذا دليل ظاهر، و برهان باهر، على عظمة الخالق، و عظمة أوصافه، خصوصا وصف القدرة و الحكمة و العلم في هذا الموضع.

الإعجاز العلمي في قوله تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]

الرابط

مقدمة:

الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا ﷺبنيت على هذه المعجزة، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك

المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص معينين، أما دلالة القرآن فهي عبارة عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد سواء،

وإنما ذكرنا هذا لما حكي عن بعضهم أنه زعم أنه

وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه،

ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة لأنهم خصوا بالتحدي دون غيرهم.

وليس ذلك بصحيح قطعاً؛

فإنهم خصوا بالتحدي دون غيرهم لأنهم امتازوا بالبلاغة والفصاحة

فكان التحدي من جنس ما امتازوا به، ومن وجه آخر قوله تعالى:

﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]

فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به،

ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة،

وليس لقائل أن يقول قد يكون حجة

ولكن يحتاج في كونه حجة إلى دلالة أخرى كما أن الرسول حجة

ولكنه يحتاج إلى دلالة على صدقه وصحة نبوته،

وذلك أنه إنما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ولم يذكر حجة غيره

و يبين ذلك أنه قال عقيب هذا:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]

فأخبر أنه مثلهم لولا الوحي[1].

ومن هنا كان لنا أن نختار جزئية بسيطة على إثبات إعجاز القرآن،

وبالتالي إثبات صحة نبوة محمد ﷺوهي لفظة واحدة لا ثاني لها جاءت في

ثنايا وصف ذهاب النهار ليعقبه الليل المظلم،

فعبر القرآن الكريم بلفظ السلخ على تلك الظاهرة.

لذلك سيكون حديثنا هنا عن هذه اللفظة وبيان معناها في اللغة،

وكيف استعيرت بغيرها لبيان الإعجاز العلمي الذي يمكن أن يكشف لنا أن

هذا القرآن جاء معجزة لنبينا ﷺ.

السلخ لغة:

السلخ في لغة العرب هو الكشط والإزالة بالكلية عن باقي جسم المكشوط

هذا تقريباً المعنى العام الذي تعاطته كتب المعاجم،

يقول الفراهيدي معرفاً السلخ:-

كشط الإِهاب عن ذِيهِ الإِهابُ نَفْسُهُ،

وانسَلَخَ النَّهارُ من اللَّيْل: خَرَجَ منهُ خُرُوجاً لا يَبْقَى معه شيءٌ من ضَوْئه

لأنّ النّهار مكوّرٌ على اللّيل

فإذا انْسَلَخَ منه ضَوْؤهُ بَقِيَ اللَّيْلُ غاسقاً قد غَشِيَ النّاسَ[2].

وسَلَخ جلد الشاة من باب قطعَ ونصرَ،

والمَسْلُوخُ الشاة التي سلخ عنها الجلد،

وسَلَخْتُ الشهر إذا أمضيته وصرت في آخره

و انْسَلَخَ الشهر من سنته

والرجل من ثيابه

والحية من قشرها والنهار من الليل(٣).

التفسير والمفسرون:

بعد تلك المقدمة نروم الآن الاستشهاد بآية من آيات القرآن على صدق المعجزة التي أيد الله بها رسوله، وصدق من أخبر بها،

ولكن من جانب جديد وهو جانب الإعجاز العلمي الذي أيد الله به معجزته الخالدة، ولكن ليس بأسلوب البيان والبلاغة وما عرف به أهل الصدر الأول؛ وإنما من جانب الحقيقة العلمية التي أبهرت الكافرين وألجمت أفواههم، كما ألجم الله المشركين بأن تحداهم أن يأتوا بسورة من مثل القرآن الكريم.

وعليه سنختار في بحثنا قوله تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]

لتكون هي المحور الذي يدور عليه مدار البحث

ولنبدأ بكلام المفسرين في هذا المجال، مستقرئين أقوالهم، آخذين بنظر الاعتبار مكانتهم العلمية مضافاً لها زمانهم الذي عاشوه.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]

لم تختلف أقوال المفسرين في معنى السلخ الوارد في الآية،

فكلهم أو أكثرهم على أن الله سبحانه جعل في هذا الليل والنهار آية وبرهان

على قدرته الواضحة ما به يؤمن المرء ويزيد يقيناً على ملكوت الخالق العظيم سبحانه، فهو يخرج النهار من الليل وينزعه نزعاً متدرجاً حتى لا يبقى منه شيء،

وهو من الاستعارة اللفظية

وسنأتي على بيان معنى الاستعارة في كلام العرب في مبحث لاحق إن شاء الله تعالى.

يقول الطبري: "ننزع عنه النهار ومعنى (منه) في هذا الموضع: عنه كأنه قيل: نسلخ عنه النهار فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار ومنه قوله:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]

أي خرج منها وتركها فكذلك انسلاخ الليل من النهار"[٤].

وعبر ابن كثير عن السلخ بلفظ الصرم فقال:

"أي نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل، ولهذا قال تبارك وتعالى:

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧][٥].

وأضاف القرطبي:-

"أي و علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلاهيته،

و السلخ: الكشط و النزع

يقال: سلخه الله من دينه ثم تستعمل بمعنى الإخراج،

وقد جعل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وظهور المسلوخ فهي استعارة، والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار، ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾أي في

ظلمة؛ لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم"[٦].

ويذكر النسفي معنى زائداً وهو حصول السلخ في نفس الزمان

فقال: نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار

أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان[٧].

وأقرب التفاسير لموضوعنا هو ما نقله الإمام ابن عاشور فقال:

"انتقال إلى دلالة مظاهر العوالم على دقيق نظام الخلق فيها مما تؤذن به المشاهدة مع التبصر، وابتدئ منها بنظام الليل والنهار لتكرر وقوعه أمام المشاهدة لكل راء، وفعله يتعدى إلى الجلد المزال بنفسه على المفعولية ولذلك يقال للجلد المزال من جسم الحيوان:-

سِلْخ -بكسر السين وسكون اللام- بمعنى مسلوخ ولا يقال للجسم الذي أزيل جلده: سِلْخ.

ويتعدى فعل سلخ إلى الجسم الذي أزيل جلده بحرف الجر،

والأكثر أنه "من" الابتدائية ويتعدى بحرف "عن" أيضاً لما في السلخ من معنى المباعدة والمجاوزة بعد الاتصال،

فمفعول (نسلخ) هنا هو (النهار) بلا ريب وعدي السلخ إلى ضمير (الليل) بـ (من) فصار المعنى:-

الليل آية لهم في حال إزالة غشاء نور النهار عنه فيبقى عليهم الليل،

فشبه النهار بجلد الشاة ونحوها يغطي ما تحته منها كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح، وشبه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن نحو الشاة

فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده،
وليس الليل بمقصود بالتشبيه وإنما المقصود تشبيه زوال النهار عنه
فاستتبع ذلك أن الليل يبقى شبه الجسم المسلوخ عن جلده.
ثم يستطرد ابن عاشور في بيان أن المقصود بالتشبيه هو سلخ النهار وليس
الليل، معللاً السبب في أن الظلمة هي الأصل فيقول: -
ووجه ذلك أن الظلمة هي الحالة السابقة للعوالم قبل خلق النور في الأجسام
النيرة لأن الظلمة عدم والنور وجود وكانت الموجودات في ظلمة قبل أن يخلق
الله الكواكب النيرة
ويوصل نورها إلى الأجسام التي تستقبلها كالأرض والقمر،
وإنما ظلمة نصف الكرة الأرضية إذا غشيها نور الجسم معتبرة كالجسم الذي
غشيه جلده فإذا أزيل النور عادت الظلمة فشبه ذلك بسلخ الجلد عن
الحيوان
كما قال تعالى في مقابله في سورة الرعد ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الرعد:
٣][٨].

ما هي الاستعارة:

لبيان ما ذكرنا في الاستعارة بإيجاز نقول:
إن أركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه
وهو معنى اللفظ المشبه ومستعار له وهو المعنى الجامع، وأقسامها كثيرة
باعتبارات فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام:

أحدها:-

استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس نحو

﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [مريم: ٤]

فالمستعار منه هو النار

و المستعار له الشيب و الوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب، وكل ذلك محسوس،

و هو أبلغ مما لو قيل اشتعل شيب الرأس لإفادة عموم الشيب لجميع الرأس استعير خروج النفس شيئاً فشيئاً لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً بجامع التتابع على طريق التدريج وكل ذلك محسوس.

الثاني:

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي،

وهي التي تدخل في موضوعنا هذا، وهي ألطف من الأولى نحو

﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس]

فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة

والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان

والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب أمر عقلي، وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلاً قليلاً، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافياً،

فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة،

وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل،

والنور طارئ عليها، يسترها بضوئه، و

هذا التعبير الفني يسميه علماء البلاغة " الاستعارة التصريحية التبعية.

الثالث:

استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي، وهي ألطف الاستعارات نحو

﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]

المستعار منه الرقاد أي النوم

والمستعار له الموت

والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي.

الرابع:

استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي أيضاً نحو

﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء﴾ [البقرة: ٢١٤]

استعير المس وهو حقيقة في الأجسام

وهو محسوس لمقاساة الشدة والجماع اللحوق وهما عقليان.

الخامس:

استعارة معقول لمحسوس والجماع عقلي أيضاً نحو

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء﴾ [الحاقة: ١١]

المستعار منه التكبر وهو عقلي

والمستعار له كثرة الماء وهو حسي

والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضاً[٩].

تفسير سلخ الليل بالمفهوم العلمي:

لم يعد إدراك حقيقة الكون ضرباً من الخيال أو من مستحيلات العلوم

بل ربما بلغ علماء هذا الزمان من الدرجة التي قد يظنون بها أنهم قد أحاطوا

بالعلوم كلها والله يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]

فيصدق عليهم حينها قول الحق تبارك وتعالى:

﴿حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

فقد تأكد بما لا يقبل الشك أن الكون كله يعيش في ظلمة سرمدية موحشة،

وقد توصّل إلى هذه الحقيقة وشاهدها بعينه؛ رواد الفضاء عندما هيأ الله لهم

أسباب الخروجِ عن كوكبنا و السباحة في الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية

وخارجَ ضوء الأرض المتأتي لها من الشمس والمحيط بها

و كأنه هالة من النور لا يكاد يجاوز بضع كيلومترات.

إن المسافة بيننا وبين الشمس هي ١٥٠ مليون كم،

و إن طبقة النور التي تحيط بالأرض لا تتجاوز ٢٠٠ كم،

و إن الضوء الواصل إلينا إنما هو ذلك المنطلق من كوكب الشمس الذي خلقه

الله بهذه الصورة العظيمة، ذلك الكوكب الملتهب ليلاً ونهاراً،

سخره الله سبحانه لأهل الأرض من جنهم وإنسهم.

إن المسافة بين الشمس والأرض أكبر بكثير من مسافة النور على سطح الأرض أو عمود النور إذا ما قسنا سمك النور بخط مستقيم أوله سطح البحر وأخره عند آخر نقطة من الخط المستقيم للنور في السماء،

وعندها يمكن تشبيهه بهالة من النور تحيط بالكرة الأرضية

فتبدو للرائي من على بعد لها وكأنها جلدة رقيقة جداً[١٠].

إن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار أو ضوء النهار هو الهواء

(الغلاف الغازي) كما يسمى علمياً، و الذي يحيط بالأرض،

أو قل إن شئت هو جميع أنواع الجسيمات المحيطة بالكرة الأرضية،

من غازات و فوتونات و جسيمات وغيرها،

(كما يحيط جلد الحيوان بجسده)،

كما أن الظلام سائد في الفضاء الكوني بصفة عامة لعدم وجود جسيمات كافية فيه لإحداث التشتت لضوء الشمس ولضوء غيرها من النجوم،

و هذا الضوء لا يظهر إلا بالانعكاس على أسطح الكواكب وأسطح غيرها من الأجرام المعتمة أو بالتشتت في أغلفتها الجوية إن كانت بها جسيمات كافية للقيام بهذا التشتت[١١].

وجه الإعجاز:

لقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل والنهار في كتابه العزيز،

فهو سبحانه له أن يقسم بما شاء، ولا يقسم البارئ عز وجل إلا بعظيم،

ومن هذا القسم قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: ٣]

و القسم بهما، أكبر دعوة لنا لنتأمل ونتساءل عما أودع الله فيهما من عظيم حكمته ومظاهر عظمته وقدرته،

وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

أي أصحاب العقول المتعلمة المتخصصة.

وقد اعتبر أئمة البلاغة الاستعارة في قوله تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾

استعارة أصلية تبعية ولم يجعلوها تمثيلية لما قدمناه من أن المقصود بالتشبيه هو حالة زوال نور النهار عن الأفق فتخلفها ظلمة الليل لقوله

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾

[يس: ٣٧] [١٢]،

فشبه خروج النهار من الليل بانسلاخ الجلد المسلوخ،

و ذلك أنه لما كانت مبادئ الصبح عند طلوعه ملتحمة بالليل –

وكانهما برزخ لا يبغيان– أجرى عليهما اسم السلخ

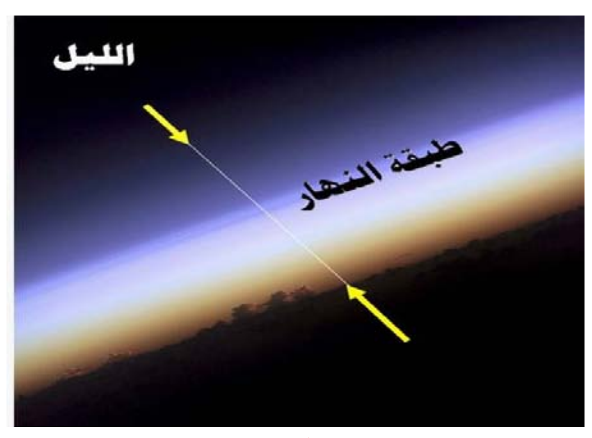
وكان ذلك أولى من أن لو قيل يخرج لأن السلخ أدل على الالتحام من الإخراج

و هذا تشبيه في غاية المناسبة(١٣)،

لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه ويزول عنه حالاً فحالاً كذلك انفصال الليل عن النهار والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان(١٤).

إن الله تعالى ينزع طبقة النهار من محيط الأرض التي يتغشاها الليل كما ينزع جلد الحيوان عن لحمه ولا يكون ذلك إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس فيتجلى الإعجاز القرآني في أنه عندما تتحرك الأرض وتدور حول نفسها فإن الليل يقوم على سلخ هذه الطبقة الرقيقة من النور.

ولذلك رأينا التعبير القرآني كيف عبر عن حالة خروج النهار وغشيان الليل المظلم بهذه العبارة اللطيفة مستعيراً لفظ السلخ بدل الخروج، وهو تعبير لا يمكن أن يكون من خيال شاعر أو إيحاء ساحر، بل لا بد أن ذلك التعبير البديع صادر من عالم بتلك الأحوال الكونية الخارجية، ولا بد أن يكون قد ارتاد الفضاء وحلق في أجوائه بل قد خرج إلى ما هو أبعد من الغلاف الغازي المحيط بالأرض ليدرك كل تلك التفاصيل الدقيقة، ثم ليعبر عنها بألفاظ وجيزة.



فهل يا ترى أن محمداً ﷺقد رأى كل تلك الظواهر؟

والجواب بالتأكيد لا، فمن أخبره إذن بذلك؟

ولكن ربما أنه قد شاهدها بحادثة الإسراء والمعراج حينما عرج به إلى السماء؟

قد يكون ذلك، إذن وفي كلتا الحالتين فإنه قد تكوّن لنا جوابان:

١- إما أن يكون قد أُخبِر من العليم الخبير بكل ما تقدم؛ وهو إقرار بأنه رسول الله أرسله مبشراً ونذيراً.

٢- وإما أن يكون قد اطلع على تلك التفاصيل في عروجه للسماء؛ وهو أيضاً دليل قطعي على أنه صادق فيما أخبر به في تلك الحادثة وهو رسول من الله أختاره وهيأ له الأدلة القاطعة على صدق ما أرسل به.

فهو إذن رسول الله، ومن حق الرسول الصادق أن يطاع، ومن حق المرسِل أن يبجّل ويقدّس ويطاع أيضاً فهو الخالق العظيم أرسل رسوله بالهدى والحق

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

٢٣-م٠١-ص٤٤٢

وسبحان الله تعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

إعداد: قسطاس إبراهيم النعيمي

مراجعة: علي عمر بلعجم

٢٣/ ٩/ ٢٠٠٧م الرجوع

---

(١) إعجاز القرآن١/ ٨ - ١٥

(٢) كتاب العين٤/ ١٩٨

(٣) مختار الصحاح ١/ ٣٢٦

(٤) تفسير ابن كثير٣/ ٧٥٤

(٥) تفسير الطبري١٠/ ٤٤٠.

(٦) تفسير القرطبي١٥/ ٢٧.

(٧) تفسير النسفي ٤/ ٨.

(٨) التحرير والتنوير ١/ ٣٥٢١ بتصرف.

(٩) الإتقان ٢/ ١٢٠ بتصرف.

(١٠) أخذا من موقع -بتصرف-:

http://www.hazemsakeek.com

(١١) سلخ النهار من الليل/ الدكتور زغلول النجار أخذاً من موقع:

http://www.elnaggarzr.com

(١٢) التحرير والتنوير ١/ ٣٥٢١.

(١٣) المثل السائر ١/ ٣٨٣.

(١٤) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٣٦.

وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ
مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا
وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ
﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ
أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ
ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ
فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا
وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

(وَءَايَةٌ لَّهُمْ)

أي: و دليل لهم و برهان، على أن اللّه وحده المعبود،

لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه

(أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ)

قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم.

(فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)

***فِي السَّفِينَة الْمَمْلُوءَة مِنَ الْأَمْتِعَة وَ الْحَيَوَانَات،
الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.

(وَخَلَقْنَا لَهُم)

أي: للموجودين من بعدهم

(مِّن مِّثْلِهِۦ)

أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه

(مَا يَرْكَبُونَ)

به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن،

لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية.

و هذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير،

فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء،

مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء،

بل فيها من الإيهام، و إخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين،

و إرادته البيان والتوضيح لعباده.

و ثَمَّ احتمال أحسن من هذا،و هـــــــــو:-

أن المراد بالذرية الجنس، و أنهم هم بأنفسهم،

لأنهم هم من ذرية بني آدم،

و لكن ينقض هذا المعنى قوله: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ)

إن أريد: و خلقنا من مثل ذلك الفلك،

أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك،

فيكون ذلك تكريرا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن.

فإن أريد بقوله: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ)

الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى و اتضح،

إلا أنه يبقى أيضا، أن يكون الكلام فيه تشويش،

فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال:-

(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهم فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ)

فأما أن يقول في الأول:-

و حملنا ذريتهم،

و في الثـــــــــاني:-

حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى،

إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، و اللّه أعلم بحقيقة الحال.

○فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع:-

ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد اللّه تعالى،

و ذلك أن من عرف جلالة كتاب اللّه و بيانه التام من كل وجه،

للأمور الحاضرة و الماضية و المستقبلة،

و أنه يذكر من كل معنى أعلاه و أكمل ما يكون من أحواله،

و كانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، و لم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم اللّه تعالى بالقرآن، و ذكر حالة الفلك،

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾

وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

و علم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، و في غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها و النارية،

و الجوية السابحة في الجو، كالطيور و نحوها،

و المراكب البرية

مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية،

نبَّه في الكتاب على أعلى نوعٍ من أنواع آياتها فقال:

(وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)

أي: المملوء ركبانا و أمتعة.

فحملهم اللّه تعالى، و نجاهم بالأسباب التي علمهم اللّه بها، من الغرق،

و لهذا نبههم على نعمته عليهم حيث أنجاهم مع قدرته على ذلك،

فقال:(وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ)

***مغيث**

❍أي:لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، و لا يزيل عنهم المشقة،

(وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ)

مما هم فيه

(إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا)

***وَ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، تَقْدِيرُهُ:-

وَ لَكِنْ بِرَحْمَتِنَا نُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ، و نُسَلِّمكم إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى؛

وَ لِهَذَا قَالَ:-{وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ }

أَيْ:-إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ.

❍حيث لم نغرقهم، لطفا بهم، و تمتيعا لهم إلى حين،

لعلهـــــــــم :-

١-يرجعـــــــون،

٢-أو يستـــــدركون ما فرط منهم.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ)

***الجزائري**:من عذاب الدنيا أي بالإيمان و الاستقامة.

❍ما في الدنيا من العقوبات

(وَمَا خَلۡفَكُمۡ)

أي: من أحوال البرزخ و القيامة،

(لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ)

***لَعَلَّ اللَّهَ بِاتِّقَائِكُمْ ذَلِكَ يَرْحَمُكُمْ وَ يُؤَمِّنُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

○أعرضوا عن ذلك، فلم يرفعوا به رأسا، ولو جاءتهم كل آية،

و لهذا قال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾

و في إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها و وضوحها،

لأنه ما أبين من آية من آيات اللّه، و لا أعظم بيانا.

و إن من جملة تربية اللّه لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم، في دينهم و دنياهم.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾

*الميسر:-إلا أعرضوا عنها، و لم ينتفعوا بها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾

أي:—من الرزق الذي منَّ به اللّه عليكم، و لو شاء لسلبكم إياه،

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾

معارضين للحق، محتجين بالمشيئة:—

﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ ﴾

أيها المؤمنون

﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

حيث تأمروننا بذلك.

و هذا مما يدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم،

فإن المشيئة، ليست حجة لعاص أبدا،

فإنه و إن كان ما شاء اللّه كان، و ما لم يشأ لم يكن،

فإنه تعالى مكَّن العباد و أعطاهم من القوة ما يقدرون على:-

فعـــــل الأمـــــــر و اجتنـــــــاب النهي،

فإذا تركوا ما أمــــــــروا بـــــــــه:-

كان ذلك اختيارا منهم، لا جبرا لهم و لا قهرا.

(وَيَقُولُونَ)

على وجه التكذيب و الاستعجال:

(مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

قال اللّه تعالى: لا يستبعدوا ذلك،

فإنه عن قريب

(مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ)

و هي نفخة الصور

***نَفْخَةُ الْفَزَعِ، يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْفَزَعِ،
وَ النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَ مَعَايِشِهِمْ

(تَأۡخُذُهُمۡ)

أي: تصيبهم

(وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ)

أي:-لاهون عنها،

***يَخْتَصِمُونَ وَ يَتَشَاجَرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ

❍لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، و تشاجرهم بينهم،

الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة.

و إذا أخذتهم وقت غفلتهم،

فإنهم لا ينظرون و لا يمهلون

❍فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ فَنَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً يُطَوِّلُهَا و يَمُدُّهَا،
فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا، وَ رَفَعَ لَيْتًا -
وَ هِيَ صَفْحَةُ الْعُنُقِ-يَتَسَمَّعُ الصَّوْتَ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ.
ثُمَّ يُسَاقُ الْمَوْجُودُونَ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَحْشَرِ الْقِيَامَةِ بِالنَّارِ،
تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ جَوَانِبِهِمْ؛

*** صحيح مسلم**

(٢٩٤٠) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ:
سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ،
يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو،
وَ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟
تَقُولُ:إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ:-
سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا –
لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا،
إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ،
وَ يَكُونُ وَ يَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

يَخرُجُ الدَّجالُ في أُمَّتي فَيَمْكُثُ أَرَبَعين - لَا أَدري:-
أَرْبَعين يَوْماً، أَوْ أَرْبَعين شَهْرا، أَوْ أَرْبَعين عاماً
فَيَبْعَثُ اللهُ عيسى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود،
فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النّاسُ سَبْعَ سنين، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْن عَدَاوَةٌ،
ثُمَّ يُرْسلُ اللهُ ريحًا بَارِدَةً منْ قبَل الشَّأْم،
فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْه الْأَرْض أَحَدٌ في قَلْبِه مثْقَالُ ذَرَّةٍ منْ خَيْرٍ أَوْ
إيمان إلَّا قَبَضَتْهُ،
حَتّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبد جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْه،
حَتَّى تَقْبضَهُ "
قَال:-سَمعْتُهَا منْ رَسُول الله ﷺ،
قَال:-فَيَبْقَى شرَارُ النَّاس في خفَّة الطَّيْر وَ أَحْلَام السِّبَاع،
لَا يَعْرفُون مَعْرُوفًا وَ لَا يُنْكرُون مُنْكَرًا،
فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجيبُونَ؟
فَيَقُولُونَ:- فَمَا تَأْمُرُنَا؟
فَيَأْمُرُهُمْ بعبَادَة الْأَوْثَان،
وَ هُمْ في ذَلكَ دَارٌّ رزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ،
ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّور، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلَّا أَصْغَى ليتًا وَ رَفَعَ ليتًا،
قَال: وَ أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْض إبله،
قَال: فَيَصْعَقُ، وَ يَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسلُ اللهُ - أَوْ قَال يُنْزِلُ اللهُ -
مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَو الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ –
فَتَنْبُتُ منْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى،

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ(١)
ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ،
قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ،
فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟
فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ،
قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا،وَ ذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ "(٢)

---

١ (فيبعث الله عيسى) قال القاضي رحمه الله تعالى نزول عيسى ﷺوقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته (في كبد جبل) أي وسطه وداخله وكبد كل شيء وسطه (في خفة الطير وأحلام السباع) قال العلماء معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية (أصغى ليتا ورفع ليتا) أصغى أمال والليت صفحة العنق وهي جانبه

٢ (يلوط حوض إبله) أي يطينه ويصلحه (كأنه الطل أو الظل) قال العلماء الأصح الطل وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمني الرجال (يكشف عن ساق) قال العلماء معناه يوم يكشف عن شدة وهول عظيم أي يظهر ذلك يقال كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وأصله أن من جد في أمره كشف عن ساقه مشمرا في الخفة والنشاط له]

٢٣-م٠٢-ص٤٤٣

وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً)

أي: لا قليلة و لا كثيرة

***عَلَى مَا يَمْلِكُونَهُ، الْأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ

(وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ)

***الميسر:-و لا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم،**

بل يموتون في أسواقهم و مواضعهم.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾

قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾

إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ)

النفخـــــــــــة الأولى:-

هي نفخة الفزع و الموت،

و هذه نفخة البعث و النشور،

فإذا نفخ في الصور،

(فَإِذَا هُم)

خرجوا

(مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ)

و القبور،

(إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ)

***وا لنَّسلان هُوَ: -

الْمَشْيُ السَّرِيعُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}[الْمَعَارِجِ: ٤٣]

أي: يسرعون للحضور بين يديه،

لا يتمكنون من التأنِّي و التأخر

و في تلك الحال، يحزن المكذبون، و يظهرون الحسرة و الندم

(قَالُواْ)

و يقولون: (يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ)

***يَعْنُونَ:مِنْ قُبُورِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا

أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ مِنْهَا، فَلَمَّا عَايَنُوا مَا كَذَّبُوهُ فِي مَحْشَرِهِمْ

(قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ)

***وَ هَذَا لَا يَنْفِي عَذَابَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ؛

لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَهُ فِي الشِّدَّةِ كَالرُّقَادِ.

وَ قَالَ عدد من العلماء: يَنَامُونَ نَوْمَةً قَبْلَ الْبَعْثِ.

***قَالَ قَتَادَةُ:-وَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ.

أي: من رقدتنا في القبور،

لأنه ورد في بعض الأحاديث،

أن لأهل القبور رقدة قبيل النفخ في الصور، فيجابون،

***فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ أَجَابَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ -قَالَهُ غَيْرُ واحد من السَّلَفِ-:

(هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ)

***وَ قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّمَا يُجِيبُهُمْ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ.

وَ لَا مُنَافَاةَ إِذِ الْجَمْعُ مُمْكِنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أي: هذا الذي وعدكم اللّه به،

(وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ)

و وعدتكم به الرسل،

فظهر صدقهم رَأْيَ عين.

و لا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده،

و إنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم

سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون،

و لا حسب به الحاسبون، كقوله:-

(الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)

و نحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا.

(إِن كَانَتۡ)

(إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً)

ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتحيا الأجساد،

(فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)

الأولون و الآخرون، و الإنس و الجن، ليحاسبوا على أعمالهم.

***كَقَوْلِهِ:-{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النَّازِعَاتِ:١٣، ١٤] .

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النَّحْلِ: ٧٧]

وَ قَالَ: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا} [الْإِسْرَاءِ: ٥٢] .

(فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)

لا ينقص من حسناتها، و لا يزاد في سيئاتها،

(وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

من خير أو شر، فمن وجد خيرا فليحمد اللّه على ذلك،

و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ
مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ
﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ
﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾
ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ
يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ
مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾

وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾

لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ
عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾

سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾

(إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ)

لما ذكر تعالى أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم

(فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ)

أي: في شغل مفكه للنفس، مُلِذِّ لها، من كل ما تهواه النفوس، و تلذه العيون، و يتمناه المتمنون.

ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات، كما قال:

(هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ)

من الحور العين، اللاتي قد جمعن حسن الوجوه و الأبدان و حسن الأخلاق.

(فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ)

أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن.

*** السُّرُرُ تَحْتَ الْحِجَالِ.(١)

(مُتَّكِـُٔونَ)

---

١ الحجال :جمع حجلة و هى ستر يُضرب للعروس فى جوف البيت كالقبة يُزين بالثياب

٢٣-م٠٣-ص٤٤٤

عليها، اتكاء على كمال الراحة و الطمأنينة و اللذة.

(لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ)

كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب و تين و رمان، و غيرها،

(وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ)

أي: يطلبون، فمهما طلبوه و تمنوه أدركوه.

و لهم أيضا

(سَلَٰمٌ)

حاصل لهم

(مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)

ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة و سلامه عليهم،

**فَإِنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ} [الْأَحْزَابِ: ٤٤]

***الميسر:-و لهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم.**

و عند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه.

○و أكده بقوله: (قَوْلًا)

و إذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه،

و حصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، و لا نعيم مثلها،

فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرءوف الرحيم، لأهل دار كرامته،

الذي أحل عليهم رضوانه،

فلا يسخط عليهم أبدا،

فلولا أن اللّه تعالى قدر أن لا يموتوا،

أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح و البهجة و السرور،لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، و أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

(مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)

وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ

فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾

لما ذكر تعالى جزاء المتقين، ذكر جزاء المجرمين

(و) أنهم يقال لهم يوم القيامة

(وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ)

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَؤُولُ إِلَيْهِ حَالُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَمْرِهِ لَهُمْ أَنْ يَمْتَازُوا، بِمَعْنَى:-

يَتَمَيَّزُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِفِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ} [يُونُسَ:٢٨]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} [الرُّومِ: ١٤]

{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} [الرُّومِ: ٤٣]

أَيْ: يَصِيرُونَ صَدْعَيْنِ فِرْقَتَيْنِ،

{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصَّافَّاتِ: ٢٢، ٢٣] .

أي: تميزوا عن المؤمنين، و كونوا على حدة

ليوبخهم و يقرعهم على رءوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار،

فيقول لهم:

(۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ)

أي: آمركم و أوصيكم، على ألسنة رسلي، و أقول لكم:

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ)

أي: لا تطيعـــــوه؟

و هذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر و المعاصي،

لأنها كلها طاعة للشيطان و عبادة له،

(إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ)

فحذرتكم منه غاية التحذير، و أنذرتكم عن طاعته،

و أخبرتكم بما يدعوكم إليه،

(و)

أمرتكم

(وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي)

بامتثال أوامري و ترك زواجري،

(هَٰذَا)

أي:عبادتي و طاعتي، و معصية الشيطان

(صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ)

فعلوم الصراط المستقيم و أعماله ترجع إلى هذين الأمرين،

أي: فلم تحفظوا عهدي، و لم تعملوا بوصيتي، فواليتم عدوكم،

(وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلًّا)

أي: خلقا

(كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ)

أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم و وليكم الحق،

و يزجركم عن اتخاذ أعدى الأعداء لكم وليا،

فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك،

فإذا أطعتم الشيطان، و عاديتم الرحمن، و كذبتم بلقائه،

و وردتم القيامة دار الجزاء، و حق عليكم القول بالعذاب

فـــــــ(هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ)

و تكذبون بها، فانظروا إليها عيانا،

فهناك تنزعج منهم القلوب، و تزوغ الأبصار، و يحصل الفزع الأكبر.

ثم يكمل ذلك، بأن يؤمر بهم إلى النار

و يقال لهم: (ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ)

أي: ادخلوها على وجه تصلاكم، و يحيط بكم حرها،

و يبلغ منكم كل مبلغ، بسبب كفركم بآيات اللّه، و تكذيبكم لرسل اللّه.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطُّورِ: ١٣-١٥] .

❍قال الله تعالى في بيان وصفهم الفظيع في دار الشقاء:–

(ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ)

بأن نجعلهم خرسا فلا يتكلمون، فلا يقدرون على إنكار ما عملوه مـــــن:- الكفـــــــــر و التكـــــــــذيب.

(وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

أي: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه، و ينطقها الذي أنطق كل شيء.

***صحيح مسلم

(٢٩٦٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ:-«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»

قَالَ قُلْنَا:-اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ:مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ،

يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟

قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ:

فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي،

قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا،

قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي،

قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ،

قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْكَلَامِ،

قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَ سُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "(٢)

(وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ)

بأن نُذْهِبَ أبصارهم، كما طمسنا على نطقهم.

(فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ)

أي: فبادروا إليه، لأنه الطريق إلى الوصول إلى الجنة،

***الميسر:-فبادَروا إلى الصراط ليجوزوه،**

(فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ)

[فكيف يتحقق لهم ذلك] و قد طمست أبصارهم.

(وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ)

أي: لأذهبنا حركتهم

***لَجَعَلْنَاهُمْ حِجَارَةً.

***لَغَيَّرْنَا خَلْقَهم.

(فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا)

إلى الأمام

(وَلَا يَرْجِعُونَ)

إلى ورائهم ليبعدوا عن النار.

---

٢ (لأركانه) أي جوارحه (أناضل) أي أدافع وأجادل]

٢٣-م٠٣-ص٤٤٤

و المعنى: أن هؤلاء الكفار، حقت عليهم كلمة العذاب،

و لم يكن بُدٌّ من عقابهم.

و في ذلك الموطن:–

ما ثَمَّ إلا النار قد برزت، و ليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط،

و هذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم،

و أما هؤلاء، فليس لهم عند اللّه عهد في النجاة من النار؛

فإن شاء طمس أعينهم و أبقى حركتهم،

فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه و بادروه،

و إن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم و لا التأخر.

المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة.

وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى: (وَمَن نُّعَمِّرۡهُ)

من بني آدم

(نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ)

أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ حالة الضعف، ضعف العقل، و ضعف القوة.

(أَفَلَا يَعۡقِلُونَ)

أن الآدمي ناقص من كل وجه،

فيتداركوا قوتهم و عقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم.

*الميسر:أفلا يعقلون أنّ مَن فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}

[الرُّومِ: ٥٤] .

وَ قَالَ:-{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا}

[الْحَجِّ: ٥] .

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾

لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ينزه تعالى نبيه محمدا ﷺ، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر

و أن الذي جاء به شعر فقال:–(وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ)

أن يكون شاعرا، أي: هذا من جنس المحال أن يكون شاعرا،

لأنه رشيد مهتد، و الشعراء غاوون، يتبعهم الغاوون،

و لأن اللّه تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله،

فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ،

و أخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له،

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ)

أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب،

جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال،

و هو يذكر العقول، ما ركز اللّه في فطرها من الأمر بكل حسن،

و النهي عن كل قبيح.

(وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ)

أي:لما يطلب بيانه.

و لهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحـــــــــــق:-

بأدلته التفصيلية و الإجمالية،

و الباطـــــــــــل:-

و أدلـــــــــــة بطـــــــــــلانه، أنزله اللّه كذلك على رسوله.

(لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا)

أي: حي القلب واعيه،

*** مُسْتَنِيرُ الْبَصِيرَةِ،

***كَقَوْلِهِ: {لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الْأَنْعَامِ: ١٩]

وَ قَالَ: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هُودٍ: ١٧] .

وَ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِنِذَارَتِهِ مَنْ هُوَ حَيّ الْقَلْبِ،

كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: حَيُّ الْقَلْبِ، حَيُّ الْبَصَرِ.

وَ قَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي: عَاقِلًا

❍فهو الذي يزكو على هذا القرآن،

و هو الذي يزداد من العلم منه و العمل،

و يكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية.

(وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)

لأنهم قامت عليهم به حجة اللّه، و انقطع احتجاجهم،

فلم يبق لهم أدنى عذر و شبهة يُدْلُونَ بها.

*****هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَ حُجَّةٌ عَلَى الكافر**

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾
وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ
أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾
لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ
إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ
وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾
أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ
بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾
وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)

يأمر تعالى العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام و ذللها،

و جعلهم مالكين لها

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها

و أنه جعل لهم فيها منافـــــــــع كثيـــــــــرة مــــــــــن:-

١-(فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ)

حملهـــــــــــم و حمل أثقالهم و محاملهم و أمتعتهم من محل إلى محل،

٢-(وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)إذا شاؤوا نَحرُوا وَ اجْتَزَرُوا.[و من أكلهـــــــــم منها]

(وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ)

٣-و فيهـــــــا دفء،

٤-و من أوبارهــــــا و أشعـــــــارها و أصوافهــــــا أثاثا و متاعا إلى حين،

٥-و فيها زينة و جمال، و غير ذلك من المنافع المشاهدة منها،

٦-(وَمَشَارِبُ)

مِنْ أَلْبَانِهَا وَ أَبْوَالِهَا لِمَنْ يَتَدَاوَى، وَ نَحْوِ ذَلِكَ.

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ)

اللّه تعالى الذي أنعم بهذه النعم و يخلصون له العبادة

و لا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة و الفكرة.

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾

(وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ)

هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع اللّه تعالى،

و رجوا نصرها و شفعها، فإنها في غاية العجز

(لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ)

و لا أنفسهم ينصرون،

فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟

و النصـــــــــر له شرطـــــــــان:-

١-الاستطاعــــــــــة

٢-و القـــــــدرة

فإذا استطاع، يبقى: هل يريد نصرة من عبده أم لا؟

فَنَفْيُ الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما.

(وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ)

أي:-هم و هم في العذاب، و متبرئ بعضهم من بعض،

أفلا تبرءوا في الدنيا من عبادة هؤلاء،

و أخلصوا العبادة للذي بيده الملك و النفع و الضر، و العطاء و المنع،

و هو الولي النصير؟

فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

(فَلَا يَحْزُنكَ)

أي: فلا يحزنك يا أيها الرسول

(قَوْلُهُمْ)

قول المكذبين،

و المراد بالقول: ما دل عليه السياق، كل قول يقدحون فيه في الرسول،

أو فيما جاء به.

أي: فلا تشغل قلبك بالحزن عليهم

(إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)

فنجازيهم على حسب علمنا بهم، و إلا فقولهم لا يضرك شيئا.

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:-

إن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده

ثم قال لرسول الله ﷺ:

أيحيى الله هذا بعد ما أرم؟

فقال رسول الله ﷺ:-

"نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم".

قال: و نزلت الآيات من آخر يس.

❍هذه الآيات الكريمات، فيها ذكر شبهة منكري البعث،

و الجواب عنها بأتم جواب و أحسنه و أوضحه،

فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾

المنكر للبعث و الشاك فيه، أمرا يفيده اليقين التام بوقوعه، و هو ابتداء خلقه

﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾

ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر و شب، و تم عقله و استتبط

***كَمَا قَالَ تَعَا لَى:-{ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الْمُرْسَلَاتِ: ٢٠-٢٢] .

وَ قَالَ {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ} [الْإِنْسَانِ: ٢]

أَيْ: مَنْ نُطْفَةٍ مِنْ أَخْلَاطٍ مُتَفَرِّقَةٍ،

فَالَّذِي خَلَقَهُ مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضَّعِيفَةِ أَلَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؟

*** مسند أحمد ط الرسالة

١٧٨٤٢ - عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ،

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺبَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ،

ثُمَّ قَالَ:قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ

حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَ عَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَ لِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ،

فَجَمَعْتَ وَ مَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ،

قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَ أَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ " (٢)

(فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)

***الميسر:- فإذا هو كثير الخصام واضح الجدال؟**

بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين،

و ليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق و تمزق،

من باب أولى.

(وَضَرَبَ لَنَا)

***الميسر:-المنكر للبعث**

(مَثَلًا)

٢٣-م٠٤-ص٤٤٥

❍لا ينبغي لأحد أن يضربه، و هو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق،
و أن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق.

(وَنَسِيَ)

ابتداء

(خَلْقَهُۥ)

❍فسر هذا المثل بقوله :-

(قَالَ)

ذلك الإنسان

(مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ)

*البالية المتفتتة

❍أي: هل أحد يحييها؟

استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت و تلاشت.

هذا وجه الشبهة و المثل،

و هو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر،

و هذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، و نسيان لابتداء خلقه،

فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا،

لم يضرب هذا المثل.

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف،

فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

و هذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه،

أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، و هو أهون على القدرة

إذا تصوره المتصور،

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

هذا أيضا دليل ثـــــــان من صفات اللّه تعالى:-

و هو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها في جميع

الأوقات،

و يعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات و ما يبقى،

و يعلم الغيب و الشهادة،

فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم و أجل من إحياء اللّه الموتى

من قبورهم.

*** صحيح البخاري

٢٠٧٧ - عن حُذَيْفَةَ ﷺ، حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

تَلَقَّتِ المَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟

قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ،

قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ "

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَ قَالَ أَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ: -
«كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ»(١)

❍ثم ذكر دليلا ثالثا :-

(ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ)

***الْمُرَادُ بِذَلِكَ سَرْح الْمَرْخ و العَفَار،
يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ فَيَأْتِي مَنْ أَرَادَ قَدْح نَارٍ وَ لَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ،
فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، وَ يَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ،
فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ مِنْ بَيْنِهِمَا، كَالزِّنَادِ سَوَاءً.

❍فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر،

الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما و شدة تخالفهما،

فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

❍ثم ذكر دليلا رابعا فقال: –

(أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)

على سعتهما و عظمهما

(بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ)

أي: أن يعيدهم بأعيانهم .

***يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خلق السموات السَّبْعِ،

---

١ (تلقت) استقبلت عند الموت لتقبضها. (فتياني) جمع فتى و هو الأجير و الخادم.
(ينظروا) من الإنظار و هو الإمهال. (يتجاوزوا) يتسامحوا في الاقتضاء و الاستيفاء
٢٣-م٠٤-ص٤٤٥

بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَ الثَّوَابِتِ، وَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَرِمَالٍ، وَ بِحَارٍ وَ قِفَارٍ، وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ،

وَ مُرْشِدًا إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَادِ بِخَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ العظيمة، كقوله تعالى:-{لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غَافِرٍ: ٥٧]

(بَلَىٰ)

قادر على ذلك، فإن خلق السماوات و الأرض أكبر من خلق الناس.

(وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ)

و هذا دليل خامس:-

فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات،

متقدمها و متأخرها، صغيرها و كبيرها، كلها أثر من آثار خلقه و قدرته،

و أنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات، فرد من أفراد آثار خلقه،

و لهذا قال:-(إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا)

نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء.

(أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)

أي: في الحال من غير تمانع.

***لا يحتاج الى تكرار

(فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ)

***كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:-{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [الْمُؤْمِنُونَ: ٨٨]

وَ كَقَوْلِهِ تَعَا لَى:-{تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الْمُلْكِ: ١]

فَالْمُلْكُ وَ الْمَلَكُوتُ وَاحِدٌ فِي الْمَعْنَى،

كَرَحْمَةٍ و رَحَمُوت، و رَهْبَة و رَهَبُوت، و جَبْر و جَبَرُوت.

و هذا دليل سادس:-

فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء،

الذي جميع ما سكن في العالم العلوي و السفلي ملك له،

و عبيد مسخرون و مدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية،

و أحكامه الشرعية، و أحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه،

و لهذا قال: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

من غير امتراء و لا شك، لتواتر البراهين القاطعة و الأدلة الساطعة على ذلك.

فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى و الشفاء و النور.

تم تفسير سورة يس، فللّه تعالى الحمد كما ينبغي لجلاله،

و له الثناء كما يليق بكماله، و له المجد كما تستدعيه عظمته و كبرياؤه،

و صلى اللّه على محمد و آله و سلم.

٣٧-سورة الصافات-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

٣٧–تفسير سورة الصافات–وهي مكية

***سنن النسائي

- ٨٢٦

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيفِ وَيَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾

هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتها وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته،

فقال: (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا)

أي: صفوفا في خدمة ربهم، وهم الملائكة.

(فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا)

وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر اللّه.

(فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا)

وهم الملائكة الذين يتلون كلام اللّه تعالى.

***الْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بِالْكِتَابِ، وَالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ.

٢٣-م٠٥-ص٤٤٦

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تعَالَى:-{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} [الْمُرْسَلَاتِ:٥، ٦]

***صحيح مسلم

(٥٢٢) عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ:-

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ:-

جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ،

وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا،

وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ "

***صحيح مسلم

(٤٣٠)عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ:-

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»

فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟

قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»

○فلما كانوا متألهين لربهم، ومتعبدين في خدمته،

ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته

فقال: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ)

ليس له شريك في الإلهية،

فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة.

(رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ)

أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها،

فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها،

فكذلك لا شريك له في ألوهيته،

وكثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية،

لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضا المشركون في العبادة،

فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكروه.

***هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ بِتَسْخِيرِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ كَوَاكِبَ ثَوَابِتَ،
وَسَيَّارَاتٍ تَبْدُو مِنَ الْمَشْرِقِ، وَتَغْرُبُ مِنَ الْمَغْرِبِ.
وَاكْتَفَى بِذِكْرِ الْمَشَارِقِ عَنِ الْمَغَارِبِ لِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ.
وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:-

{فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} [الْمَعَارِجِ:٤٠] .

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرَّحْمَنِ:١٧]

يَعْنِي فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

وخص اللّه المشـــــــارق بالذكـــــــــر، لــــــــ:-

١-دلالتهـــــــا على المغارب

٢-أو لأنهـــــــا مشــــــارق النجـــــــوم التي سيذكرها،

فلهذا قال:-(إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ)

ذكر اللّه في الكواكب هاتين الفائدتيــــــن العظيمتيــــــن:-

إحداهمــــــــا: -

(إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا)

كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها،

(بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ)

ولكـــــــن زينهـــــــا فيهـــــــا لـــــــ:-

١-تستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها،

٢-ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر

٣-و يحصل فيها من المصالح ما يحصل.

***قُرِئَ بِالْإِضَافَةِ وَبِالْبَدَلِ، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ
فَالْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ وَالثَّوَابِتُ يَثْقُبُ ضَوْءُهَا جِرْمَ السَّمَاءِ الشَّفَّافَ،
فَتُضِيءُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الْمُلْكِ:٥]

وَقَالَ:-{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ* إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الْحِجْرِ:١٦-١٨] .

والثانيـــــــــة:

(وَحِفۡظًا)

***تَقْدِيرُهُ: وَحَفِظْنَاهَا حِفْظًا،

(مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ)

***المتمرد العاتى

❍حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة،

(لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ)
***يُرْمَوْنَ

فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب

(مِن كُلِّ جَانِبٍ)
***مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَقْصِدُونَ السَّمَاءَ مِنْهَا

(دُحُورًا)

طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى.
***كَمَا تَقدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا عِنْدَ قَوْلِهِ تعَالَى:
{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سَبَأٍ:٢٣]

(وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ)
***فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لَهُمْ عَذَابٌ دَائِمٌ مُوجِعٌ مُسْتَمِرٌّ، كَمَا قَالَ:
{وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الْمُلْكِ:٥] .

❍أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم.

ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا

ولكن قال(إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ)

تلقف من الشياطين المردة،الكلمة الواحدة [يسمعهامِنَ السَّمَاءِ]على وجه الخفيةوالسرقة

(فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ)

***الميسر:المضيء**

أولا :–

تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه،فينقطع خبر السماء،

ثانيا:–

وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب

***فَيُلْقِيهَا إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ، وَيُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ،
فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا
وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الشِّهَابُ فَيُحْرِقَهُ،
فَيَذْهَبُ بِهَا الْآخَرُ إِلَى الْكَاهِنِ،
فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء.

***سنن الترمذي ت شاكر:-

٣٣٢٤ -عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:-
كَانَ الجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الوَحْيَ،
فَإِذَا سَمِعُوا الكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا،
فَأَمَّا الكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوهُ فَيَكُونُ بَاطِلًا
فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ،
وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ،
فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الأَرْضِ،

فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ أُرَاهُ قَالَ:- بِمَكَّةَ، فَلَقُوهُ فَأَخْبَرُوهُ،

❍ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال: (فَٱسْتَفْتِهِمْ)

أي: اسأل منكري خلقهم بعد موتهم.

(أَهُمْ)

أي: إيجادهم بعد موتهم،

(أَشَدُّ)

وأشق؟

(خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ)

من هذه المخلوقـــــــــــات؟

فلا بد أن يقروا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث،

بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها،لعلموا

(إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ)

أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر من إنشائهم بعد موتهم،

***هُوَ الْجَيِّدُ الَّذِي يَلْتَزِقُ بعضه ببعض

***هُوَ اللَّزِجُ.

***هُوَ الَّذِي يَلْزَقُ بِالْيَدِ.

○أي: قوي شديد كقوله تعالى: –

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)

***كَمَا قَالَ تَعالَى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غَافِرٍ:٥٧]

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُمْ خُلقوا مِنْ شَيْءٍ ضَعِيفٍ

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

(بَلْ عَجِبْتَ)

يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث،

بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة،

وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار،

(و)

أعجب من إنكارهم وأبلغ منه،أنهم

(وَيَسْخَرُونَ)

ممن جاء بالخبر عن البعث،

فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق.

(و)

من العجب أيضا أنهم

(وَإِذَا ذُكِّرُوا)

ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه

(لَا يَذْكُرُونَ)

*الميسر: يتدبّرون[ذلك]

❍فإن كان جهلا فهو من أدل الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة،

حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال،

وإن كان تجاهلا وعنادا، فهو أعجب وأغرب.

(وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً)

معجزة دالّة على نبوّتك

(يَسْتَسْخِرُونَ)

يسخرون منهاويعجبون.

❍ومن العجب أيضا أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة،

وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء،

يسخرون منها ويعجبون.

ومن العجب أيضا، قولهم للحق لما جاءهم:

(وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ)

فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها.

ومـــــن العجـــــــب أيضـــــا:-

قياسهم قدرة رب الأرض والسماوات،على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه،

فقالــــــــوا استبعــــــــادا و إنكــــــــارا:-

(أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ)

ولما كان هذا منتهى ما عندهم،وغاية ما لديهم، أمر اللّه رسوله أن يجيبهم

بجواب مشتمل على ترهيبهم فقال:-(قُلۡ نَعَمۡ)

ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون

(وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ)

ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة اللّه.

***حَقِيرُونَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ} [النَّمْلِ:٨٧] ،

وَقَالَ:-{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غَافِرٍ:٦٠]
.

(فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ)

ينفخ إسرافيل فيها في الصور

(فَإِذَا هُمْ)

مبعوثون من قبورهم

(يَنظُرُونَ)

كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا

وفـــــــى تلـــــــك الحـــــــال:–

يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور.

(وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ)

فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزءون.

فيقال لهم[عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ،وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تُميزَ الْكُفَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ فِي مَحْشَرِهِمْ وَمَنْشَرِهِمْ]

(هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ)

بين العباد فيما بينهم

وبين ربهم من الحقوق،

وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق.

٢٣-م٠٥-ص٤٤٦

(ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ)

۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾

مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

أي إذا أحضروا يوم القيامة، وعاينوا ما به يكذبون،

ورأوا ما به يستسخرون، يؤمر بهم إلى النار، التي بها كانوا يكذبون،

فيقال: (ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)

أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي

(وَأَزۡوَٰجَهُمۡ)

***أمثالهم

***إِخْوَانَهُمْ

***أَشْبَاهَهُمْ قَالَ: يَجِيءُ صَاحِبُ الرِّبَا مَعَ أَصْحَابِ الرِّبَا،

وَصَاحِبُ الزِّنَا مَعَ أَصْحَابِ الزِّنَا،

وَصَاحِبُ الْخَمْرِ مَعَ أَصْحَابِ الْخَمْرِ،

○الذين من جنس عملهم، كل يضم إلى من يجانسه في العمل.

(وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

من الأصنام و الأنداد التي زعموها، فاجمعوهم جميعا

(فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ)

أي: سوقوهم سوقا عنيفا إلى جهنم.

وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار،

ويعرفون أنهم من أهل دار البوار،

***وهَذَا كَقَوْلِهِ تعَالَى:-{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الْإِسْرَاءِ:٩٧] .

يقال:-(وَقِفُوهُمْ)

قبل أن توصلوهم إلى جهنم

***احْبِسُوهُمْ حَتَّى يُسألوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمُ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا

(إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ)

إِنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ.

عما كانوا يفترونه في الدنيا، ليظهر على رءوس الأشهاد كذبهم و فضيحتهم.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ

﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ

إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ

وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم

مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن

مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾

وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

فيقال لهم:

(مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ)

***كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ

أي: ما الذي جرى عليكم اليوم؟

و ما الذي طرقكم لا ينصر بعضكم بعضا،

و لا يغيث بعضكم بعضا، بعدما كنتم تزعمون في الدنيا،

أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب، و تغيثكم و تشفع لكم عند اللّه،

فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال، لأنهم قد علاهم الذل و الصغار،

و استسلموا لعذاب النار، و خشعوا و خضعوا و أبلسوا، فلم ينطقوا.

و لهذا قال: (بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ)

***مُنْقَادُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يُخَالِفُونَهُ وَ لَا يَحِيدُونَ عنه.

وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾

قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ

﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾

فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾

إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا

لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾

إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾

لما جمعوا هم و أزواجهم وآلهتهم، و هدوا إلى صراط الجحيم،

و وقفوا، فسئلوا، فلم يجيبوا، و أقبلوا فيما بينهم

يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم و ضلالهم.

***يَذْكُرُ تعَالَى أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَلَاوَمُونَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ،

كَمَا يَتَخَاصَمُونَ فِي دَرَكات النَّارِ

(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ)

فـــ(قَالُوٓاْ)

الأتباع للمتبوعين الرؤساء:

(إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ)

أي: بالقوة و الغلبة، فتضلونا، و لولا أنتم لكنا مؤمنين.

***مِنْ حَيْثُ نَأْمَنُكُمْ.

(قَالُواْ)

لهم

(بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)

أي: ما زلتم مشركين، كما نحن مشركون

فأي شيء فضلكم علينا؟

و أي شيء يوجب لومنا؟

(و) الحال أنه

(وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ)

***حجة على صحة ما دعوناكم اليه

أي: قهر لكم على اختيار الكفر

(بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا طَٰغِينَ)

متجاوزين للحد .

***فَلِهَذَا اسْتَجَبْتُمْ لَنَا وَ تَرَكْتُمُ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْكُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَ أَقَامُوا لَكُمُ الْحُجَجَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءُوكُمْ بِهِ، فَخَالَفْتُمُوهُمْ.

(فَحَقَّ عَلَيۡنَا)

نحن و إياكم

(قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ)

العذاب

أي: حق علينا قدر ربنا و قضاؤه، أنا و إياكم سنذوق العذاب، و نشترك في العقاب.

(فـ)

لذلك

(فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ)

أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، و هي الغواية،

(إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ)

فاستجبتم لنا، فلا تلومونا و لوموا أنفسكم.

قال تعالى: (فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٍ)

أي: يوم القيامة

(فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ)

و إن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم.

كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائه،

و لهذا قال:- (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ)

ثم ذكر أن إجرامهم، قد بلغ الغاية و جاوز النهاية

فقال: (إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ)

***فِي الدَّارِ الدُّنْيَا

(إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)

فدعوا إليها، و أمروا بترك إلهية ما سواه

(يَسۡتَكۡبِرُونَ)

عنها و على من جاء بها.

***يَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَقُولُوهَا، كَمَا يَقُولُهَا الْمُؤْمِنُونَ.

(وَيَقُولُونَ)

معارضة لها

(أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا)

التي لم نزل نعبدها نحن و آباؤنا (لـ) قول

(لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۢ)

يعنون محمدا ﷺ.

فلم يكفهم – قبَّحهم اللّه – الإعراض عنه،

و لا مجرد تكذيبه، حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام،

و جعلوه شاعرا مجنونا

و هم يعلمون أنه لا يعرف الشعر و الشعراء، و لا وصفه وصفهم،

و أنه أعقل خلق اللّه، و أعظمهم رأيا.

و لهذا قال تعالى، ناقضا لقولهم: (بَلۡ جَآءَ)

محمد

(بِٱلۡحَقِّ)

أي: مجيئه حق، و ما جاء به من الشرع و الكتاب حق.

(وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

*** صَدَّقَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَ الْمَنَاهِجِ السَّدِيدَةِ، وَ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ فِي شَرْعِهِ وَ قَدَرِهِ وَ أَمْرِهِ كَمَا أَخْبَرُوا

{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ} الْآيَةَ [فُصِّلَتْ:٤٣]

أي:و مجيئه صدق المرسلين فلولا مجيئه و إرساله لم يكن الرسل صادقين،

فهو آية و معجزة لكل رسول قبله،

لأنهم أخبروا به و بشروا،

و أخذ اللّه عليهم العهد و الميثاق، لئن جاءهم، ليؤمنن به و لينصرنه،

و أخذوا ذلك على أممهم،

فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، و تبين كذب من خالفهم،

فلو قدر عدم مجيئه، و هم قد أخبروا به، لكان ذلك قادحا في صدقهم.

و صدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به،

و دعا إلى ما دعوا إليه، و آمن بهم،

و أخبر بصحة رسالتهم و نبوتهم و شرعهم.

و لما كان قولهم السابق: (إِنَّا لَذَائِقُونَ)

قولا صادرا منهم، يحتمل أن يكون صدقا أو غيره،

أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق و اليقين،

و هو الخبر الصادر منه تعالى،

فقال:-(إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ)

أي: المؤلم الموجع.

(وَمَا تُجْزَوْنَ)

في إذاقة العذاب الأليم

(إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

فلم نظلمكم، و إنما عدلنا فيكم؟

و لما كان هذا الخطاب لفظه عاما، و المراد به المشركون،

استثنى تعالى المؤمنين فقال:-

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾

فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾

وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى:-(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم، لأنهم أخلصوا للّه الأعمال،

فأخلصهم، و اختصهم برحمته، و جاد عليهم بلطفه.

***لَيْسوا يَذُوقُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ،

وَ لَا يُنَاقَشُونَ فِي الْحِسَابِ،

بَلْ يَتَجَاوزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، إِنْ كَانَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ،

وَ يُجْزَوْنَ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ،

إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّضْعِيفِ.

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ)

أي: غير مجهول، و إنما هو رزق عظيم جليل، لا يجهل أمره، و لا يبلغ كنهه.

فسره بقوله: ﴿فَوَٰكِهُ﴾

من جميع أنواع الفواكه التي تتفكه بها النفس، للذتها في لونها و طعمها.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾

لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون.

قد أكرم بعضهم بعضا،

و أكرمتهم الملائكة الكرام،

و صاروا يدخلون عليهم من كل باب،

و يهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، و أكرمهم أكرم الأكرمين،

و جاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب و الأرواح و الأبدان.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

أي: الجنات التي النعيم وصفها، و السرور نعتها،

و ذلك لما جمعته،

مما لا عين رأت،

و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر،

و سلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات و المنغصات.

و من كرامتهم عند ربهم، و إكرام بعضهم بعضا، أنهم:-

(عَلَىٰ سُرُرٍ)

و هي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة،

المزخرفة المجملة، فهم متكئون عليها، على وجه الراحة و الطمأنينة، و الفرح.

(مُّتَقَٰبِلِينَ)

***لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ.

فيما بينهم قد صفت قلوبهم، و محبتهم فيما بينهم،

و نعموا باجتماع بعضهم مع بعض،

فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم،

و تأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره،

أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور و الأدب،

ما دل عليه ذلك التقابل.

(يُطَافُ عَلَيۡهِم)

أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة،

(بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينِۭ)

*الميسر:بكؤوس خمر، من أنهار جارية،[لا يخافون انقطاعها]

○بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك،

و هي كاسات الخمر

فإنهـــــــا في لونهـــــــا (بَيۡضَآءَ)

من أحسن الألوان، و في طعمهــــــــــــا

(لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ)

***طَعْمُهَا طَيِّبٌ كَلَوْنِهَا،

***وَ طِيبُ الطَّعْمِ دَلِيلٌ عَلَى طِيبِ الرِّيحِ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فِي جَمِيعِ ذَلِك

❍يتلذذ شاربها بها وقت شربها و بعده،

و تلك الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه،

(لَا فِيهَا غَوْلٌ)

***وجع البطن

(وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ)

و ليس فيها صداع و لا كدر،

و أنها سالمة من غول العقل و ذهابه، و نزفه، و نزف مال صاحبها،

❍فلما ذكر طعامهم و شرابهم و مجالسهم،

و عموم النعيم و تفاصيله داخلة في قوله:–(جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها،ذكر أزواجهم فقال:–

(وَعِندَهُمْ)

أي:و عند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان،

كاملات الأوصاف،

(قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ)

١-إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها و عدم مجاوزته لغيره،

و لجمال زوجها و كماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، و لا ترغب إلا به،

٢-و إما لأنها قصرت طرف زوجها عليها،

و ذلك يدل على كمالها و جمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها،

أن يقصر طرفه عليها،

❍و قصر الطرف أيضا، يدل على قصر النفس و المحبة عليها،

و كلا المعنيين محتمل، و كلاهما صحيح،

و كل هذا يدل على جمال الرجال و النساء في الجنة، و محبة بعضهم بعضا،

محبة لا يطمح إلى غيره، و شدة عفتهم كلهم،

و أنه لا حسد فيها و لا تباغض، و لا تشاحن، و ذلك لانتفاء أسبابه.

(عِينٌ)

أي:-حسان الأعين جميلاتها، ملاح الحدق.

*****فَوَصَفَ عُيُونَهُنَّ بِالْحُسْنِ وَ الْعِفَّةِ**

(كَأَنَّهُنَّ)

أي: الحور

(بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)

أي: مستور، و ذلك من حسنهن و صفائهن

و كون ألوانهن أحسن الألوان و أبهاها، ليس فيه كدر و لا شين.

***مَحْصُونٌ لَمْ تَمَسَّهُ الْأَيْدِي.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)

*و حذف المعمول، و [المقام مقام لذة و سرور]

فدل ذلك على أنهم يتساءلون بـــــــ:-

١-كل ما يلتذون بالتحدث به،

٢-و المسائل التي وقع فيها النزاع و الإشكال.

○و من المعلوم أن:-

لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، و البحث عنه،

فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا،

فلهم من هذا النوع النصيب الوافر،

و يحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه.(١)

○لما ذكر تعالى نعيمهم، و تمام سرورهم، بالمآكل و المشارب،

و الأزواج الحسان، و المجالس الحسنة،

ذكر تذاكرهم فيما بينهم، و مطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية،

و أنهم ما زالوا في المحادثة و التساؤل، حتى أفضى ذلك بهم،

إلى أن(قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ):–

---

١ ذكرها الشيخ السعدى فى تفسير الصفحة ٤٤٨

(إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)

في الدنيا، ينكر البعث، و يلومني على تصديقي به.

***يَعْنِي شَيْطَانًا.

***هُوَ الرَّجُلُ الْمُشْرِكُ، يَكُونُ لَهُ صَاحِبٌ مِنْ أَهَّلَ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا.

***وَ لَا تَنَافِي بَيْنَ القولين

***فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي النَّفْسِ،

وَ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ فَيَقُولُ كَلَامًا تَسْمَعُهُ الْأُذُنَانِ، وَ كِلَاهُمَا مُتَعَادِيَانِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الْأَنْعَامِ:١١٢]

وَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُوَسْوِسُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس}

[سُورَةُ النَّاسِ]

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾

قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾

قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾

أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾

فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾

ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾

فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾

وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾

قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ

إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ

﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

و (يَقُولُ)

لي

(أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ)

*** أَأَنْتَ تُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ وَ النُّشُورِ وَ الْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ؟!

يَعْنِي: يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ وَ التَّكْذِيبِ وَ الِاسْتِبْعَادِ، وَ الْكُفْرِ وَ الْعِنَادِ.

(أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ)

أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب

و هو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابا و عظاما، أننا نبعث و نعاد،

ثم نحاسب و نجازى بأعمالنا؟.

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه:–

هذه قصتي، و هذا خبري، أنا و قريني،

ما زلت أنا مؤمنا مصدقا،

و هو ما زال مكذبا منكرا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا،

فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به الرسل،

و هو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب.

فــــــــ(قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ)

*** مُشْرِفُونَ. يَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ وَ جُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

ѻلننظر إليه، فنزداد غبطة و سرورا بما نحن فيه،

و يكون ذلك رَأْيَ عين؟

و الظاهر من حال أهل الجنة، و سرور بعضهم ببعض، و موافقة بعضهم بعضا،

أنهم أجابوه لما قال، و ذهبوا تبعا له، للاطلاع على قرينه.

(فَٱطَّلَعَ)

فرأى قرينه

(فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ)

أي: في وسط

(ٱلۡجَحِيمِ)

العذاب و غمراته، و العذاب قد أحاط به.

فــــــــ(قَالَ)

له لائما على حاله، و شاكرا للّه على نعمته أن نجاه من كيده:

(تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ)

أي: تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك.

(وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي)

على أن ثبتني على الإسلام

(لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ)

في العذاب معك.

***وَ لَكِنَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيَّ وَ رَحِمَنِي فَهَدَانِي لِلْإِيمَانِ،

وَ أَرْشَدَنِي إِلَى تَوْحِيدِهِ{وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الْأَعْرَافِ:٤٣] .

(أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ)

أي: يقوله المؤمن، مبتهجا بنعمة اللّه على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها

و السلامة من العذاب؛ استفهام بمعنى الإثبات و التقرير أي:-

يقول لقرينه المعذب:-

أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى

و لا بعث بعدها و لا عذاب .

و قوله: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)

و حذف المعمول، و المقام مقام لذة و سرور،

فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به،

و المسائل التي وقع فيها النزاع و الإشكال.

○و من المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، و البحث عنه،

فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا،

فلهم من هذا النوع النصيب الوافر،

و يحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه.

فلما ذكر تعالى نعيم الجنة، و وصفه بهذه الأوصاف الجميلة، مدحه

و شوَّق العاملين، و حثَّهم على العمل فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

الذي حصل لهم به كل خير، و كل ما تهوى النفوس و تشتهي،

و اندفع عنهم به كل محذور و مكروه، فهل فوز يطلب فوقه؟

أم هو غاية الغايات، و نهاية النهايات،

حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، و فرحوا بقربه،

و تنعموا بمعرفته و استروا برؤيته، و طربوا لكلامه؟

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾

***هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس و أولى ما شمر إليه العارفون الأكياس،

و الحسرة كل الحسرة، أن يمضي على الحازم، وقت من أوقاته،

و هو غير مشتغل بالعمل، الذي يقرب لهذه الدار

فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟

أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾

إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾

فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾

ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾

فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾

(أَذَٰلِكَ)

أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة

(خَيۡرٞ نُّزُلًا)

***الميسر:ضيافة و عطاء من الله**

⭘أم العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب؟

فأي الطعامين أولى؟

الذي وصف في الجنة (أَمۡ)

طعام أهل النار؟

و هو (شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ)

***وَ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:-

{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ}

[الْوَاقِعَة:٥١، ٥٢]

(إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً)

أي عذابا و نكالا

(لِّلظَّالِمِينَ)

أنفسهم بالكفر و المعاصي.

***قَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَتْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم، فافتتن بها أهل الضلالة،

وَ قَالُوا: صَاحِبُكُمْ يُنْبِئُكُمْ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً، وَ النَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ}

قُلْتُ: وَ مَعْنَى الْآيَةِ:-

إِنَّمَا أَخْبَرْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ اخْتِبَارًا تَخْتَبِرُ بِهِ النَّاسَ، مَنْ يُصَدِّقُ مِنْهُمْ مِمَّنْ يُكَذِّبُ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الْإِسْرَاء:٦٠]

(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ)

أي: وسطه فهذا مخرجها، و معدنها أشر المعادن و أسوؤها،

○و شر المغرس، يدل على شر الغراس و خسته،

و لهذا نبهنا اللّه على شرها بما ذكر أين تنبت به، و بما ذكر من :-

(طَلۡعُهَا)

صفة ثمرتها.

(كَأَنَّهُۥ)

و أنها كـــــــــ(رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ)

فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، و ما تفعل في أجوافهم و بطونهم،

و ليس لهم عنها مندوحة و لا معدل .

و لهذا قال:(فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ)

فهذا طعام أهل النار، فبئس الطعام طعامهم،

***ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَبْشَعَ مِنْهَا،
وَ لَا أَقْبَحَ مِنْ مَنْظَرِهَا، مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الطَّعْمِ وَ الرِّيحِ وَ الطَّبْعِ،
فَإِنَّهُمْ لَيَضْطَرُّونَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهَا،
لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ إِلَّا إِيَّاهَا، وَ مَا فِي مَعْنَاهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ. لَا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}[الْغَاشِيَةِ:٦، ٧] .

❍ثم ذكر شرابهم فقال:-(ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا)

أي: على أثر هذا الطعام

(لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٍ)

*** يَعْنِي شرب الحميم على الزقوم.

***مَزْجًا مِنْ حَمِيمٍ.
***يَعْنِي يَمْزُجُ لَهُمُ الْحَمِيمَ بِصَدِيدٍ وَ غَسَّاقٍ مِمَّا يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِهِمْ وَ عُيُونِهِمْ.

○أي: ماء حارا، قد انتهى، كما قال تعالى:

(وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)

و كما قال تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

(ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ)

أي: مآلهم و مقرهم و مأواهم

(لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ)

ليذوقوا من عذابه الشديد، و حره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء.

***ثُمَّ إِنَّ مَرَدَّهُمْ بَعْدَ هَذَا الْفَصْلِ لَإِلَى نَارٍ تَتَأَجَّجُ، وَ جَحِيمٍ تَتَوَقَّدُ، وَ سَعِيرٍ تَتَوَهَّجُ، فَتَارَةً فِي هَذَا وَ تَارَةً فِي هَذَا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرَّحْمَنِ:٤٤]

○و كأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟

فقال: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا)

أي: وجدوا

(ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ)

أي: يسرعون في الضلال،

فلم يلتفتوا إلى ما دعتهم إليه الرسل،

و لا إلى ما حذرتهم عنه الكتب،

و لا إلى أقوال الناصحين،

بل عارضوهم بأن قالوا:–

(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)

(وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ)

أي: قبل هؤلاء المخاطبين

(أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ)

و قليل منهم آمن و اهتدى.

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ)

ينذرونهم عن غيهم و ضلالهم.

(فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)

كانت عاقبتهم الهلاك، و الخزي، و الفضيحة،

فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

○و لما كان المنذرون ليسوا كلهم ضالين

بل منهم من آمن و أخلص الدين للّه، استثناه اللّه من الهلاك

فقال: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)

أي: الذين أخلصهم اللّه، و خصهم برحمته لإخلاصهم،

فإن عواقبهم صارت حميدة.

ثم ذكر أنموذجا من عواقب الأمم المكذبين فقال:-

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾

وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

يخبر تعالى عن عبده و رسوله نوح عليه السلام، أول الرسل،

أنه لما دعا قومه إلى اللّه، تلك المدة الطويلة

فلم يزدهم دعاؤه، إلا فرارا، أنه نادى ربه

فقال: (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) الآية.

و قال:(رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ)

فاستجاب اللّه له، و مدح تعالى نفسه فقال:-

(فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ)

لدعاء الداعين، و سماع تبتلهم و تضرعهم،

أجابه إجابة طابق ما سأل

(وَنَجَّيْنَٰهُ)

نجاه

(وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)

***وَ هُوَ التَّكْذِيبُ وَ الْأَذَى

وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ

﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾

ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ

سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ

﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾

فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ

﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ

﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾

فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾

رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ

قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ

قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ

﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾

ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾

(وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ)

و أغرق جميع الكافرين، و أبقى نسله و ذريته متسلسلين،

***لَمْ تَبْقَ إِلَّا ذُرِّيَّةُ نُوحٍ عليه السلام

○فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام،

(وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ)

و جعل له ثناء حسنا مستمرا إلى وقت الآخرين،

و ذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق،

و هذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم.

(سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ)

***مُفَسِّرٌ لِمَا أَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ أَنَّهُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الطَّوَائِفِ وَ الْأُمَمِ.

{ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

أَيْ: هَكَذَا نَجْزِي مَنْ أَحْسَنَ مِنَ الْعِبَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ،
نَجْعَلُ لَهُ لسانَ صدْق يُذْكَرُ بِهِ بَعْدَهُ بِحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي ذَلِكَ.

و دل قوله: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

أن الإيمان أرفع منازل العباد

و أنه مشتمل على جميع شرائع الدين و أصوله و فروعه

لأن اللّه مدح به خواص خلقه.

*** الْمُصَدِّقِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُوقِنِينَ

(ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ)

***أَهْلَكْنَاهُمْ، فَلَمْ تبق مِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ، وَ لَا ذِكْرَ لَهُمْ وَ لَا عَيْنَ وَ لَا أَثَرَ، وَ لَا يُعَرَفُونَ إِلَّا بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْقَبِيحَةِ.

۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ (٨٣ – ١١٣) إلى آخر القصة .

*الميسر:من أشياع نوح على منهاجه و ملّته نبيّ الله إبراهيم

○أي: و إن من شيعة نوح عليه السلام

و من هو على طريقته في النبوة و الرسالة،

و دعوة الخلق إلى اللّه، و إجابة الدعاء، إبراهيم الخليل عليه السلام

(إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

** يَعْنِي شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

*** سَلِيمٌ مِنَ الشِّرْكِ

○من الشرك و الشبه، و الشهوات المانعة من تصور الحق، و العمل به،

و إذا كان قلب العبد سليما، سلم من كل شر،

و حصل له كل خير، و من سلامته أنه سليم من غش الخلق و حسدهم،

و غير ذلك من مساوئ الأخلاق،

و لهذا نصح الخلق في اللّه،

و بدأ بأبيه و قومه فقال:(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ)

هذا استفهام بمعنى الإنكار، و إلزام لهم بالحجة.

(أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ)

أي: أتعبدون من دونه آلهة كذبا، ليست بآلهة، و لا تصلح للعبادة،

(فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

أن يفعل بكم و قد عبدتم معه غيره؟

و هذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

و ما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادا و شركاء.

فأراد عليه السلام أن يكسر أصنامهم، و يتمكن من ذلك،

فانتهز الفرصة في حين غفلة منهم،لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم.

(فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ)

***ضَعِيفٌ

في الحديث الصحيح:

« لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: –

١ –قوله إِنِّي سَقِيمٌ

٢ –و قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا

٣–و قوله عن زوجته :إنها أختي »

***وَ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْكَذِبِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُذَمُّ فَاعِلُهُ،
حَاشَا وَ كَلَّا وَ إِنَّمَا أُطْلِقَ الْكَذِبُ على هذا تَجَوُّزًا،
وَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمَعَارِيضِ فِي الْكَلَامِ لِمَقْصِدٍ شَرْعِيٍّ دِينِيٍّ

○و القصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم.

(فَـ) لهذا (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ)

*** إِلَى عِيدِهِمْ

○فلما وجد الفرصة.

(فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ)

أي: أسرع إليها على وجه الخفية و المراوغة،

(فَقَالَ)

متهكما بها

(أَلَا تَأْكُلُونَ)

***وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ وَضَعُوا بَيْنَ أَيْدِيهَا طَعَامًا قُرْبَانًا لتُبرّك لَهُمْ فِيهِ.

(مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ)

أي: فكيف يليق أن تعبد،

و هي أنقص من الحيوانات، التي تأكل أو تكلم؟

فهذه جماد لا تأكل و لا تكلم.

(فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ)

أي: جعل يضربها بقوته و نشاطه،

حتى جعلها جذاذا، إلا كبيرا لهم، لعلهم إليه يرجعون.

(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)

أي: يسرعون و يهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثوا

و قالوا: (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ)

و قيل لهم (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)

يقول: (تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)

فوبخوه و لاموه، فقال:-

(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ)الآية.

و (قَالَ) هنا:

(أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)

أي: تنحتونه بأيديكم و تصنعونه؟

فكيف تعبدونهم، و أنتم الذين صنعتموهم، و تتركون الإخلاص للّه؟

(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ)

***أولا:-

يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ:

(وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ عَمَلَكُمْ)

ثانيا:-

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى "الَّذِي" تَقْدِيرُهُ:

(وَاللَّهُ خَلْقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ)

وَ كِلَا الْقَوْلَيْنِ متلازم، و الأول أظهر؛

لما رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ "أَفْعَالِ الْعِبَادِ"عَنْ حُذَيْفَةَ مَرْفُوعًا (١)قَالَ:-

"إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَ صَنْعَتَهُ"

***وَ قَرَأَ بَعْضُهُمْ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}

*** فَعِنْدَ ذَلِكَ لَمَّا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ عَدَلُوا إِلَى أَخْذِهِ بِالْيَدِ وَ الْقَهْرِ:-

فــــ(قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا)

أي: عاليا مرتفعا، و أوقدوا فيها النار

(فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ)

جزاء على ما فعل، من تكسير آلهتهم.

(فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا)

ليقتلوه أشنع قتلة

---

١ رقم ١١٧

٢٣-م٠٨-ص٤٤٩

(فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ)

رد اللّه كيدهم في نحورهم، و جعل النار على إبراهيم بردا و سلاما.

(وَ) لما فعلوا فيه هذا الفعل، و أقام عليهم الحجة، و أعذر منهم،

(وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى)

أي: مهاجر إليه، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام.

(سَيَهْدِينِ)

يدلني إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني و دنياي،

و قال في الآية الأخرى:

(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)

(رَبِّ هَبْ لِى)

ولدا يكون

(مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

و ذلك عند ما أيس من قومه، و لم ير فيهم خيرا، دعا اللّه أن يهب له غلاما صالحا، ينفع اللّه به في حياته، و بعد مماته

فاستجاب اللّه له وقال: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ)

و هذا إسماعيل عليه السلام بلا شك،

فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق،

و لأن اللّه تعالى قال في بشراه بإسحاق

(فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)[هود: ٧١]

***يُولَدُ لَهُ فِي حَيَاتِهِمَا وَلَدٌ يُسَمَّى يَعْقُوبُ،
فَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِه عَقِبٌ وَ نَسْلٌ.
وَ قَدْ قَدَّمْنَا هُنَاكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بَعْدَ هَذَا أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحِه وَ هُوَ صَغِيرٌ
لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَهُمَا بِأَنَّهُ سَيُعْقَبُ، وَ يَكُونُ لَهُ نَسَلٌ
فَكَيْفَ يُمْكِنُ بُعْدَ هَذَا أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحِه صَغِيراً،
وَ إِسْمَاعِيلُ وُصِفَ هَاهُنَا بِالْحَلِيمِ؛ لِأَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِهَذَا الْمَقَامِ.

⭘فدل على أن إسحاق غير الذبيح، و وصف اللّه إسماعيل، عليه السلام بالحلم ،

و هو يتضمن الصبر، و حسن الخلق، و سعة الصدر و العفو عمن جنى.

(فَلَمَّا بَلَغَ)

الغلام

(مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ)

أي: أدرك أن يسعى معه، و بلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه،

قد ذهبت مشقته، و أقبلت منفعته،

فـــــــــ(قَالَ)

له إبراهيم عليه السلام: –

(يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ)

أي: قد رأيت في النوم و الرؤيا، أن اللّه يأمرني بذبحك،

❍و رؤيا الأنبياء وحي

(فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ)

فإن أمر اللّه تعالى، لا بد من تنفيذه،

***وَ إِنَّمَا أَعْلَمُ ابْنَهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ،

وَ لِيَخْتَبِرَ صَبْرَهُ وَ جَلَدَهُ وَ عَزْمَهُ مِنْ صِغَرِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ طَاعَةِ أَبِيهِ.

(قَالَ)

إسماعيل صابرا محتسبا، مرضيا لربه، و بارا بوالده:-

(يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ)

أي: امض لما أمرك اللّه

(سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر،

و قرن ذلك بمشيئة اللّه تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة اللّه تعالى.

***وَ لِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}

[مَرْيَمَ:٥٤، ٥٥]

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾

وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾

كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا

مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ

لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا

وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾

وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾

وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾

ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

(فَلَمَّآ أَسۡلَمَا)

أي: إبراهيم و ابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه و ثمرة فؤاده،

امتثالا لأمر ربه،

و خوفا من عقابه،

و الابن قد وطَّن نفسه على الصبر، و هانت عليه في طاعة ربه، و رضا والده،

(وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ)

***الميسر:و ألقى إبراهيم ابنه على جبينه –و هو جانب الجبهة- على الأرض؛ ليذبحه**

○أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه،

و قد انكب لوجهه، لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.

(وَنَٰدَيۡنَٰهُ)

في تلك الحال المزعجة، و الأمر المدهش:–

(أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ)

أي: قد فعلت ما أمرت به،

فإنك وطَّنت نفسك على ذلك، و فعلت كل سبب،

و لم يبق إلا إمرار السكين على حلقه

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم.

***هَكَذَا نَصْرِفُ عَمَّنْ أَطَاعَنَا الْمَكَارِهَ وَ الشَّدَائِدَ

وَ نَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجًا وَ مَخْرَجًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطَّلَاقِ:٢، ٣] .

(إِنَّ هَٰذَا)

الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام

(لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ)

أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، و كمال محبته لربه و خلته،

فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه اللّه لإبراهيم، أحبه حبا شديدا،

و هو خليل الرحمن، و الخلة أعلى أنواع المحبة،

و هو منصب لا يقبل المشاركة و يقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب،

فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل،أراد تعالى أن يصفي وُدَّه و يختبر خلته،

فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه،

فلما قدّم حب اللّه، و آثره على هواه، و عزم على ذبحه،

و زال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه،

فلهذا قال: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)

أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم،

فكان عظيما من جهة أنه كان فداء لإسماعيل،

و من جهة أنه من جملة العبادات الجليلة،

و من جهة أنه كان قربانا و سنة إلى يوم القيامة.

(وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ)

أي:و أبقينا عليه ثناء صادقا

(فِي ٱلۡأٓخِرِينَ)

كما كان في الأولين،

فكل وقت بعد إبراهيمعليه السلام، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه.

(سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ)

أي: تحيته عليه كقوله:

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)

(كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

في عبادة اللّه، و معاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد،

و نجعل لهم العاقبة، و الثناء الحسن.

(إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

بما أمر اللّه بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين

كما قال تعالى:

(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)

(وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا)

هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من ورائه يعقوب

فبشر بوجوده و بقائه، و وجود ذريته، و كونه نبيا

(مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

فهي بشارات متعددة.

(وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ)

أي:أنزلنا عليهما البـــــركة،التــــــى هــــــي:-

النمــــــو و الزيـــــادة في (علمهما و عملهما و ذريتهما)

فنشر اللّه من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة:-

١-أمة العــــــرب من ذرية إسماعيل،

٢-و أمة بني إسرائيــــــل،

٣-و أمة الــــــروم من ذرية إسحاق.

***كَقَوْلِه تَعَالَى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هُودٍ:٤٨] .

(وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٌ)

أي: منهم الصالح و الطالح،

و العادل و الظالم الذي تبين ظلمه، بكفره و شركه،

و لعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: –

(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ)

اقتضى ذلك البركة في ذريتهما،

و أن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين،

فأخبر اللّه تعالى أن منهم محسنا و ظالما، و اللّه أعلم.

(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ) (١١٤ – ١٢٢) إلى آخر القصة.

يذكر تعالى مِنَّتهُ على عبديه و رسوليه، موسى، و هارون ابني عمران، بـــ:

النبــــوة و الرســــالة، و الدعـــــوة إلى اللّه تعالى،

(وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)

و نجاتهما و قومهما من عدوهما فرعون

(وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ)

و نصرهما عليه، حتى أغرقه اللّه و هم ينظرون،

(وَءَاتَيْنَـٰهُمَا)

و إنزال اللّه عليهما

(ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ)

و هو التوراة التي فيها الأحكام و المواعظ و تفصيل كل شيء

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً} [الْأَنْبِيَاءِ:٤٨]

(وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)

***فى الاقوال و الافعال

○و أن اللّه هداهما الصراط المستقيم، بـــــأن:-

١-شـــــرع لهما دينا ذا أحكام و شرائع مستقيمة موصلة إلى اللّه،

٢-و مَـــــنَّ عليهما بسلوكه.

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ)

أي: أبقى عليهما ثناء حسنا،

(سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ)

و تحية في الآخرين،و من باب أولى و أحرى في الأولين

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

***هو ادريس عليه السلام

○يمدح تعالى عبده و رسوله،إلياس عليه السلام بالنبوة و الرسالة و الدعوة إلى اللّه،

(إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ)

و أنه أمر قومه بالتقوى،

(أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا)

و عبادة اللّه وحده و نهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يقال له « بعل »

(وَتَذَرُونَ)

و تركهم عبادة اللّه

(أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ)

الذي خلق الخلق، و أحسن خلقهم

(ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ)

الذي خلقكم،

(وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ)

و خلق آباءكم الماضين قبلكم؟

و رباهم فأحسن تربيتهم، و أدرَّ عليهم النعم الظاهرة و الباطنة

و أنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضر، و لا ينفع،

و لا يخلق، و لا يرزق، بل لا يأكل و لا يتكلم؟

و هل هذا إلا من أعظم الضلال و السفه و الغي؟ »

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ

﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا

عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾

وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ

ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾

فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞

فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾

وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا

وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾

وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ

﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

(فَكَذَّبُوهُ)

فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال اللّه متوعدا لهم:–

(فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)

أي يوم القيامة في العذاب، و لم يذكر لهم عقوبة دنيوية.

(إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)

أي: الذين أخلصهم اللّه، و منَّ عليهم باتباع نبيهم،

فإنهم غير محضرين في العذاب، و إنما لهم من اللّه جزيل الثواب.

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ)

أي: على إلياس

(فِي الْآخِرِينَ)

ثناء حسنا.

(سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ)

أي: تحية من اللّه، و من عباده عليه.

*** كَمَا يُقَالُ فِي إِسْمَاعِيلَ: إِسْمَاعِينُ

***يَعْنِي: آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)

فأثنى اللّه عليه كما أثنى على إخوانه صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين.

***تقدم تفسيره الايات ٨٠(-٨١) و (١١٠-١١١) من السورة الكريمة**

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

(وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ)

و هذا ثناء منه تعالى على عبده و رسوله لوط بالنبوة و الرسالة،

و دعوته إلى اللّه قومه، و نهيهم عن الشرك و فعل الفاحشة.

فلما لم ينتهوا، نجاه اللّه و أهله أجمعين، فسروا ليلا فنجوا.

(إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ)

أي: الباقين المعذبين، و هي زوجة لوط لم تكن على دينه.

(ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ)

بأن قلبنا عليهم ديارهم

فـــــ(جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ)

حتى همدوا و خمدوا.

*** فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُقُوبَاتِ،
وَ جَعَلَ مَحِلَّتَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بُحَيْرَةً مُنْتِنَةً قَبِيحَةَ الْمَنْظَرِ وَ الطَّعْمِ وَ الرِّيحِ،
وَ جَعَلَهَا بِسَبِيلٍ مُقِيمٍ يَمُرُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ لَيْلًا وَ نَهَارًا و لهذا قال:-

(وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم)

٢٣-م١٠-ص٤٥١

أي: على ديار قوم لوط

(مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ)

أي: في هذه الأوقات، يكثر ترددكم إليها و مروركم بها،

فلم تقبل الشك و المرية

(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)

الآيات و العبر، و تنزجرون عما يوجب الهلاك؟

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨ (١٣٩ – ١٤٨) إلى آخر القصة.

(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

***قَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّةُ يُونُسَ عليه السلام فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:-

"مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ متَّى"(١)

ﷺو نَسَبَه إِلَى أُمِّهِ" وَ فِي رِوَايَةٍ قِيلَ: "إِلَى أَبِيهِ"

و هذا ثناء منه تعالى، على عبده و رسوله، يونس بن متى،

كما أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة و الرسالة، و الدعوة إلى اللّه،

و ذكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية،

أنجاه منها بسبب إيمانه و أعماله الصالحة، فقال: ﴿إِذۡ أَبَقَ﴾

أي: من ربه مغاضبا له، ظانا أنه لا يقدر عليه، و يحبسه في بطن الحوت،

و لم يذكر اللّه ما غاضب عليه، و لا ذنبه الذي ارتكبه، لعدم فائدتنا بذكره،

و إنما فائدتنا بما ذُكِّرنا عنه أنه أذنب، و عاقبه اللّه مع كونه من الرسل الكرام،

و أنه نجاه بعد ذلك، و أزال عنه الملام، و قيض له ما هو سبب صلاحه.

﴿إِذۡ أَبَقَ﴾

لجأ

﴿إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾

بالركاب و الأمتعة، فلما ركب مع غيره، و الفلك شاحن، ثقلت السفينة،

فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركبان،

و كأنهم لم يجدوا لأحد مزية في ذلك،

---

١ البخارى ٣٤١٦-مسلم ٢٣٧٧

(فَسَاهَمَ)

***قارع

❍فاقترعوا على أن من قرع و غلب، ألقي في البحر عدلا من أهل السفينة،

و إذا أراد اللّه أمرا هيأ أسبابه.

فلما اقترعوا أصابت القرعة يونس

(فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ)

أي: المغلوبين.

***وَ ذَلِكَ أَنَّ السَّفِينَةَ تَلَعَّبَت بِهَا الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،
وَ أَشْرَفُوا عَلَى الغَرَقِ، فَسَاهَمُوا عَلَى مَنْ تَقَعُ عَلَيْه الْقُرْعَةُ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ،
لِتَخِفَّ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَوَقَعَت الْقُرْعَةُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ عليه السلامثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
وَهُمْ يَضِنُّونَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ
فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقِيَ نَفْسَهُ وَ هُمْ يَأْبَوْنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ.

❍فألقي في البحر

(فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ)

وقت التقامه

(مُلِيمٌ)

أي: فاعل ما يلام عليه، و هو مغاضبته لربه.

(فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ)

*** لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الرَّخَاءِ

٢٣-م١٠-ص٤٥١

أي:في وقته السابق بكثرة عبادته لربه،و تسبيحه، و تحميده،و في بطن الحوت حيث قال: (لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[الانبياء:٨٧]

(لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

أي: لكانت مقبرته، و لكن بسبب تسبيحه و عبادته للّه، نجاه اللّه تعالى، و كذلك ينجي اللّه المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد.

(فَنَبَذْنَٰهُ)

***ألقيناه

○بأن قذفه الحوت من بطنه

(بِٱلْعَرَآءِ)

و هي الأرض الخالية العارية من كل أحد،

بل ربما كانت عارية من الأشجار و الظلال.

(وَهُوَ سَقِيمٌ)

أي: قد سقم و مرض، بسبب حبسه في بطن الحوت،

حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البيضة.

(وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ)

***القرع

○تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال،

و لا يسقط عليها ذباب، و هذا من لطفه به، و بره.

***ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَرْعِ فَوَائِدَ، مِنْهَا:-

١-سُرْعَـــةُ نَبَاتِهِ،

٢-و تظليــلُ وَرَقِهِ لِكِبَرِهِ، وَ نُعُومَتِهِ،

٣-وَ أَنَّهُ لَا يَقْرَبُهَا الذُّبَــابُ،

٤-وَ جَــوْدَةُ أَغْذِيَةِ ثَمَرِهِ،

٥-وَ أَنَّهُ يُؤْكَلُ نَيِّئًــا وَ مَطْبُوخًــا بِلُبِّهِ وَ قِشْرِهِ أَيْضًا.

وَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يُحِبّ الدُّبَّاء،وَ يَتَتَبَّعُهُ مِنْ حَوَاشِي الصَّحْفَة

*** صحيح البخاري

٢٠٩٢ - عن أَنَسِ بْنَ مَالك عليه السلاميَقُولُ:

إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺلِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ:

فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ،

فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺخُبْزًا وَ مَرَقًا، فِيهِ دُبَّاءٌ وَ قَدِيدٌ،

فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ«يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ القَصْعَةِ»

قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ»(٢)

❍ثم لطف به لطفا آخر، و امْتَنَّ عليه مِنّة عظمى،

و هى ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾

من الناس

﴿أَوْ﴾

***بل

---

٢ (مرقا) كل طعام طبخ بماء. (دباء) القرع واليقطين. (قديد) لحم مجفف. (حوالي) جوانب

٢٣-م١٠-ص٤٥١

(يَزِيدُونَ)

عنها، و المعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى اللّه تعالى.

(فَـَٔامَنُواْ)

فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم.

(فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ)

بأن صرف اللّه عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه، قال تعالى:

(فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)[يونس:٩٨]

فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾

أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾

أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾

وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

***يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَعْلِهِمْ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،

سُبْحَانَهُ، وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ،

أَيْ: مِنَ الذُّكُورِ،

أَيْ: يَودّون لِأَنْفُسِهِمُ الْجَيِّدَ.

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النَّحْلِ:٥٨]

٢٣-م١٠-ص٤٥١

أَيْ: يَسُوءُهُ ذَلِكَ، وَ لَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْبَنِينَ. يَقُولُ تَعَالَى: -

فَكَيْفَ نَسَبُوا إِلَى الله

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:

(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)

***سَلْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ

أي: اسأل المشركين باللّه غيره، الذين عبدوا الملائكة،

و زعموا أنها بنات اللّه، فجمعوا بين الشرك باللّه، و وصفه بما لا يليق بجلاله،

(أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ)

هذه قسمة ضيزى، و قول جائر، من جهة جعلهم الولد للّه تعالى،

و من جهة جعلهم أردأ القسمين و أخسهما له و هو البنات

التي لا يرضونهن لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى :–

(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)

***كَقَوْلِهِ:{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنْثَى *تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}[النَّجْمِ:٢١، ٢٢]

و من جهة جعلهم الملائكة بنات اللّه، و حكمهم بذلك.

قال تعالى في بيان كذبهم:–

(أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ) خلقهم؟

أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم ما شهدوا خلقهم،

فدل على أنهم قالوا هذا القول، بلا علم، بل افتراء على اللّه،

٢٣-م١٠-ص٤٥١

***كَقَوْلِهِ: {وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزُّخْرُفِ:١٩]

أَيْ: يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

○و لهذا قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴾

أي: كذبهم الواضح

﴿لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾

***صَدَرَ مِنْهُ الْوَلَدُ

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

﴿أَصْطَفَى ﴾

أي: اختار

﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾

***كَقَوْلِهِ: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا} [الْإِسْرَاءِ:٤٠]

وَ لِهَذَا قَالَ:

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾

فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ

إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾

وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ

﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾

إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾

وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾

وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾

فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾

(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

هذا الحكم الجائر.

(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)

و تميزون هذا القول الباطل الجائر فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ)

أي حجة ظاهرة على قولكم من كتاب أو رسول. و كل هذا غير واقع

و لهذا قال (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

فإن من يقول قولا لا يقيم عليه حجة شرعية فإنه كاذب متعمد أو قائل على اللّه بلا علم.

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ)

أي: جعل هؤلاء المشركون باللّه بين اللّه

(وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ)

***الجلالين:-الْمَلَائِكَة لِاجْتِنَانِهِمْ عَنْ الْأَبْصَار**

○حيث زعموا أن الملائكة بنات اللّه، و أن أمهاتهم سروات الجن

(وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)

و الحال أن(ٱلۡجِنَّةُ)قد علمت أنهم محضرون بين يدي اللّه

ليجازيهم عبادا أذلاء، فلو كان بينهم و بينه نسب، لم يكونوا كذلك.

(سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ)

الملك العظيم، الكامل الحليم،

(عَمَّا يَصِفُونَ)

يصفه به المشركون من كل وصف أوجبه كفرهم و شركهم.

(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)

***وَ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِلْحَقِّ الْمُنَزَّلِ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَ مُرْسَلٍ

○فإنه لم ينزه نفسه عما وصفوه به، لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله،

و بذلك كانوا مخلصين.

فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾

(فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ)

أي: إنكم أيها المشركون و من عبدتموه مع اللّه،

(مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ)

لا تقدرون أن تفتنوا و تضلوا أحدا

(إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ)

من قضى اللّه أنه من أهل الجحيم،فينفذ فيه القضاء الإلهي،

***مَا يَنْقَادُ لِمَقَالِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الْعِبَادَةِ الْبَاطِلَةِ مَنْ هُوَ أَضَلُّ مِنْكُمْ مِمَّنْ ذُرِي لِلنَّارِ.

{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الْأَعْرَاف:١٧٩]

فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يَنْقَادُ لِدِينِ الشِّرْكِ وَ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} [الذَّارِيَاتِ:٨، ٩]

أَيْ: إِنَّمَا يَضِلُّ بِهِ مَنْ هُوَ مَأْفُوكٌ وَ مُبْطِلٌ.

و المقصـــــود مـــــن هـــــذا:-

١-بيان عجزهم و عجز آلهتهم عن إضلال أحد،

٢-و بيان كمال قـــــدرة اللّه تعالى،

أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد اللّه المخلصين و حزبه المفلحين.

***ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنزها لِلْمَلَائِكَةِ مِمَّا نَسَبوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِمْ وَ الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾

(وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ)

لَهُ مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَ لَا يَتَعَدَّاهُ

هذا فيه بيان براءة الملائكة عليهم السلام، عما قاله فيهم المشركون،

و أنهم عباد اللّه، لا يعصونه طرفة عين،

فما منهم من أحد إلا له مقام و تدبير قد أمره اللّه به لا يتعداه و لا يتجاوزه،

و ليس لهم من الأمر شيء.

(وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ)

في طاعة اللّه و خدمته.

***نَقِفُ صُفُوفًا فِي الطَّاعَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}

*** صحيح مسلم

(٥٢٢) عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ،

وَ جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا،

وَ جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ "

(وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ)

لله عما لا يليق به.

فكيف – مع هذا – يصلحون أن يكونوا شركاء للّه؟!

تعالى الله.

***الْمُصَلُّونَ، يَثْبُتُونَ بِمَكَانِهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ:٢٦-٢٩] .

وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ)

يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني،

(لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ)

و يقولون: لو جاءنا من الذكر و الكتب، ما جاء الأولين،

(لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

لأخلصنا للّه العبادة، بل لكنا المخلصين على الحقيقة.

و هم كَذَبَة في ذلك، فقد جاءهم أفضل الكتب فكفروا به،

فعلم أنهم متمردون على الحق

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا} [فَاطِرٍ:٤٢]

وَ قَالَ:{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ} [الأَنْعَامِ:١٥٦، ١٥٧]

(فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ)

العذاب حين يقع بهم، و لا يحسبوا أيضا أنهم في الدنيا غالبون،

(وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

بل قد سبقت كلمة اللّه التي لا مرد لها و لا مخالف لها لعباده المرسلين و جنده المفلحين،

***تَقَدَّمَ فِي الْكِتَابِ الأَوَّلِ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ وَ أَتْبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الْمُجَادَلَةِ:٢١]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ} [غَافِرٍ:٥١]

وَ لِهَذَا قَالَ:-

(إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ)

***فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

كَمَا تقدَّمَ بيَانُ نُصْرَتِهِمْ عَلَى قَوْمِهِمْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ وَ خالَفَهُمْ،

وَ كَيْفَ أَهْلَكَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ، وَ نَجَّى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

(وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ)

***تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ.

❍أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصرا عزيزا، يتمكنون فيه من

إقامة دينهم،

❍و هذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند اللّه،

بأن كانت أحواله مستقيمة، و قاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور.

(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ)

ثم أمر رسوله بالإعراض عمن عاندوا، و لم يقبلوا الحق،

و أنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب،

***اصْبِرْ عَلَى أَذاهُمْ لَكَ، وَ انْتَظِرْ إِلَى وَقْتٍ مُؤَجَّلٍ،

فَإِنَّا سَنَجْعَلُ لَكَ الْعَاقِبَةَ وَ النُّصْرَةَ وَ الظَّفَرَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: نسأ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ بَدْرٍ. وَمَا بَعْدَهَا أَيْضًا فِي مَعْنَاهَا.

و لهذا قال:-(وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)

من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم.

(أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)

***هُمْ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ لِتَكْذِيبِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ
فَإِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَ يُعَجِّلُ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ،
وَ مَعَ هَذَا أَيْضًا كَانُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ وَ الْعُقُوبَةَ.

(فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ)

أي: نزل عليهم، و قريبا منهم

(فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)

***فَبِئْسَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُهُمْ، بِإِهْلَاكِهِمْ وَ دَمَارِهِمْ .

❍لأنه صباح الشر و العقوبة، و الاستئصال.

***صحيح البخاري

٣٧١-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ:-
فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاَةَ الغَدَاةِ بِغَلَسٍ،
فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَ رَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَ أَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ،
فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ،
وَ إِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ
ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ
فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ قَالَ:-
اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ

{فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ} [الصافات: ١٧٧] قَالَهَا ثَلاَثًا

○ثم كرر الأمر بالتَّولي عنهم، و تهديدهم بوقوع العذاب.

و لما ذكر في هذه السورة، كثيرا من أقوالهم الشنيعة، التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها

فقال: (سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ)

أي: تنزه و تعالى

(رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ)

أي: الذي عز فقهر كل شيء، و اعتز عن كل سوء يصفونه به.

(وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

لسلامتهم من الذنوب و الآفات،

و سلامة ما وصفوا به فاطر الأرض و السماوات.

(وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

الألف و اللام، للاستغراق،

فجميع أنواع الحمد، من الصفات الكاملة العظيمة،

و الأفعال التي ربى بها العالمين،

و أدرَّ عليهم فيها النعم،

و صرف عنهم بها النقم،

و دبرهم تعالى في حركاتهم و سكونهم،

و في جميع أحوالهم، كلها للّه تعالى،

فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم، و رسله سالمون مسلم عليهم،

و من اتبعهم في ذلك له السلامة في الدنيا والآخرة.

و أعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا و الآخرة.

***لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَ الْآخِرَةِ فِي كُلِّ حَال.

○وَ لَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ يَتَضَمَّنُ التَّنْزِيهَ وَ التَّبْرِئَةَ مِنَ النَّقْصِ بِدَلَالَةِ الْمُطَابَقَةِ،

وَ يَسْتَلْزِمُ إثْبَاتَ الْكَمَالِ،

كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ يَدُلُّ عَلَى إثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ مُطَابَقَةً،

وَ يَسْتَلْزِمُ التَّنْزِيهَ مِنَ النَّقْصِ -قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،

وَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

***وَ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ:-

***سنن أبي داود

٤٨٥٧ -عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

أَنَّهُ قَالَ:

كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ،

وَ لَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَ مَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ:-

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَ أَتُوبُ إِلَيْكَ (١)

---

١ [حكم الألباني] : صحيح دون قوله ثلاث مرات

٢٣-م١١-ص٤٥٢

٣٨-سورة ص-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ (١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ (٢) كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ (٣) وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ (٥) وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ (٧) أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ (٨) أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ (٩) أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ (١٠) جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ (١١) كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ (١٥) وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (١٦)

٣٨-تفسير سورة ص –و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾

أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾

أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾

جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾

هذا بيان من اللّه تعالى لحال القرآن،و حال المكذبين به معه و مع من جاء به،

فقال: (صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ)

أي:ذي القدر العظيم و الشرف، المُذَكِّرِ للعباد كل ما يحتاجون إليه

من العلم، بأسماء اللّه و صفاته و أفعاله،

و من العلم بأحكام اللّه الشرعية

و من العلم بأحكام المعاد و الجزاء،

فهو مذكر لهم في أصول دينهم و فروعه.

و هنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه،

فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به و عليه شيء واحد،

و هو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل،

فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة،

و كان الواجب عليهم تَلقِّيه بالإيمان و التصديق، و الإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى اللّه من هدى لهذا،و أبى الكافرون الإيمان به و بمن أنزله،و صار معهم

(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ)

و امتناع عن الإيمان به، و استكبار

(وَشِقَاقٍ)

له

أي: مشاقة و مخاصمة في رده و إبطاله

و في القدح بمن جاء به.

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسل،

و أنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا و استغاثوا في صرف العذاب عنهم

و لكن (كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ فَنَادَواْ)

***حِينَ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ اسْتَغَاثُوا وَ جَأَرُوا إِلَى اللَّهِ.

وَ لَيْسَ ذَلِكَ بِمُجْدٍ عَنْهُمْ شَيْئًا.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: ١٢]

أَيْ: يَهْرَبُونَ،

{لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ}

[الْأَنْبِيَاءِ: ١٣]

(وَّلَاتَ)

***وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَ هِيَ "لَاتَ" هِيَ "لَا" الَّتِي لِلنَّفْيِ،

زِيدَتْ مَعَهَا "التَّاءُ" كَمَا تُزَادُ فِي "ثُمَّ" فَيَقُولُونَ: "ثُمَّتْ"

(حِينَ مَنَاصٍ)

أى: و ليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، و لا فرج لما أصابهم،

فَلْيَحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم و شقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم.

(وَعَجِبُوٓاْ)

أي: عجب هؤلاء المكذبون في أمر ليس محل عجب،

(أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ)

ليتمكنوا من التلقي عنه، و ليعرفوه حق المعرفة،

و لأنه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن اتباعه،

فهذا مما يوجب الشكر عليهم، و تمام الانقياد له.

و لكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا تعجب إنكار

(وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)

من كفرهم و ظلمهم:-

(هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ)

و ذنبه - عندهم- أنه (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ)

أي: كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء و الأنداد،

و يأمر بإخلاص العبادة للّه وحده.

(إِنَّ هَٰذَا)

الذي جاء به

(لَشَيۡءٌ عُجَابٞ)

أي: يقضي منه العجب لبطلانه و فساده.

(وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ)

المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك.

(أَنِ ٱمۡشُواْ)

أي: استمروا عليها،

(وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ)

و جاهدوا نفوسكم في الصبر عليها و على عبادتها،

و لا يردكم عنها راد، و لا يصدنكم عن عبادتها، صاد.

(إِنَّ هَٰذَا)

الذي جاء به محمد، من النهي عن عبادتها

(لَشَيْءٌ يُرَادُ)

أي: يقصد، أي: له قصد و نية غير صالحة في ذلك،

و هذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء،

فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته،

فنيته و عمله له،

و إنما يرد بمقابلته بما يبطله و يفسده، من الحجج و البراهين و هم قصدهم،

أن محمدا، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، و يكون معظما عندكم،

متبوعا.

(مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا)

القول الذي قاله، و الدين الذي دعا إليه

(فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ)

أي: في الوقت الأخير، فلا أدركنا عليه آباءنا، و لا آباؤنا أدركوا آباءهم عليه،

فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم، فإنه الحق،

***يَعْنُونَ دِينَ قُرَيْش.

***النَّصْرَانِيَّةَ قَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ حَقًّا أَخْبَرَتْنَا بِهِ النَّصَارَى.

(إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ)

و ما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، و كذب افتراه،

○و هذه أيضا شبهة من جنس شبهتهم الأولى،

حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول

و هو أنه قول مخالف لما عليه آباؤهم الضالون،

فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟.

(أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ)

أي: ما الذي فضله علينا، حتى ينزل الذكر عليه من دوننا، و يخصه اللّه به؟

و هذه أيضا شبهة، أين البرهان فيها على رد ما قاله؟

و هل جميع الرسل إلا بهذا الوصف، يَمُنُّ اللّه عليهم برسالته،

و يأمرهم بدعوة الخلق إلى اللّه،

***أَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ تَخْصِيصَهُ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ كُلِّهِمْ
كَمَا قَالُوا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-

{لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزُّخْرُفِ: ٣١]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:-{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الزُّخْرُفِ: ٣٢]

وَ لِهَذَا لَمَّا قَالُوا هَذَا الَّذِي دَلَّ عَلَى جَهْلِهِمْ وَ قِلَّةِ عَقْلِهِمْ فِي اسْتِبْعَادِهِمْ
إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِهِمْ،

○و لهذا لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لرد ما جاء به الرسول، أخبر تعالى من أين صدرت،

و أنهم ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ ﴾

*ريب

﴿مِّن ذِكۡرِيۚ ﴾

***وحيي إليك -أيها الرسول- و إرسالي لك،**

❍ليس عندهم علم و لا بينة.

فلما وقعوا في الشك و ارتضوا به، و جاءهم الحق الواضح،

و كانوا جازمين بإقامتهم على شكهم،

قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم،

و إنما ذلك من باب الائتفاك منهم.

و من المعلوم، أن من هو بهذه الصفة يتكلم عن شك و عناد،

إن قوله غير مقبول، و لا قادح أدنى قدح في الحق،

و أنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه،

و لهذا توعدهم بالعذاب فقال: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾

أي: قالوا هذه الأقوال، و تجرأوا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا،

لم يصبهم من عذاب اللّه شيء، فلو ذاقوا عذابه، لم يتجرأوا.

***الميسر:بل قالوا ذلك؛لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا**

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ﴾

الَّذِي لَا يُرَامُ جَنَابُهُ

(ٱلْوَهَّابِ)

الَّذِي يُعْطِي مَا يُرِيدُ لِمَنْ يُرِيدُ.

***وَ هَذِهِ الْآيَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ:

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا}

[النِّسَاءِ: ٥٣: ٥٥]

وَ قَوْلُهُ {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} [الْإِسْرَاءِ: ١٠]

وَ ذَلِكَ بَعْدَ الْحِكَايَةِ عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا بِعْثَةَ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ

وَ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ عليه السلام حِينَ قَالُوا: -

{أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ} [القمر: ٢٥: ٢٦]

○فيعطون منها من شاءوا، و يمنعون منها من شاءوا،

حيث قالوا: (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ)

أي: هذا فضله تعالى و رحمته، و ليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على اللّه.

(أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ)

بحيث يكونون قادرين على ما يريدون.

(فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ)

الموصلة لهم إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول اللّه،

فكيف يتكلمون، و هم أعجز خلق اللّه و أضعفهم بما تكلموا به؟!

أم قصدهم التحزب و التجند، و التعاون على نصر الباطل و خذلان الحق؟

و هو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم،بل سعيهم خائب،و جندهم مهزوم،

و لهذا قال: (جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ)

***الميسر:هؤلاء الجند المكذِّبون جند مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم**

***هَؤُلَاءِ الْجُنْدُ الْمُكَذِّبُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عِزَّةٍ و شِقَاقٍ سَيُهْزَمُونَ و يُغْلَبُونَ وَ يُكْبَتُونَ كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأَحْزَابِ الْمُكَذِّبِينَ

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}

وَ كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}

[الْقَمَرِ: ٤٤: ٤٦] .

كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾

يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم و تحزبا على الباطل،

٢٣-م١٢-ص٤٥٣

(كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ)

قوم هود

(وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ)

أى: الجنود العظيمة، و القوة الهائلة.

(وَثَمُودُ)

قوم صالح،

(وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ)

أي: الأشجار و البساتين الملتفة، و هم قوم شعيب

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ)

الذين اجتمعوا بقوتهم و عَدَدِهمْ و عُدَدِهمْ على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئا.

(إِن كُلٌّ)

من هؤلاء

(إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ)

عليهم

(عِقَابِ)

اللّه، و هؤلاء، ما الذي يطهرهم و يزكيهم، أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك.

(وَمَا يَنظُرُ)

فلينتظر

(هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ)

أي: من رجوعٍ و رد، تهلكهم و تستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه.
***قَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَيْ لَيْسَ لَهَا مَثْنَوِيَّةٌ أَيْ:-
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا أَيْ:-
فَقَدِ اقْتَرَبَتْ وَ دَنَتْ وَ أَزِفَتْ
وَ هَذِهِ الصَّيْحَةُ هِيَ نَفْخَةُ الْفَزَعِ الَّتِي يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يُطَوِّلَهَا،
فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فَزِعَ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾

أي:قال هؤلاء المكذبون، من جهلهم و معاندتهم الحق،مستعجلين للعذاب:-

(وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا)

أي: قسطنا و ما قسم لنا من العذاب عاجلا
***هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي دُعَائِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتَعْجِيلِ الْعَذَابِ،
***فَإِنَّ الْقِطَّ هُوَ الْكِتَابُ
***وَ قِيلَ: هُوَ الْحَظُّ وَ النَّصِيبُ.
قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: سَأَلُوا تَعْجِيلَ الْعَذَابِ -زَادَ قَتَادَةُ كَمَا قَالُوا:-

{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: ٣٢]

***وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: -
سَأَلُوا تَعْجِيلَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا
وَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ جَيِّدٌ،

(قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)

*الميسر:القيامة، و كان هذا استهزاءً منهم.

Oو لَجُّوا في هذا القول، و زعموا أنك يا محمد، إن كنت صادقا،
فعلامة صدقك أن تأتينا بالعذاب، فقال لرسوله:

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ

﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ

قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ

فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾

فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ

وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

(ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)

كما صبر مَنْ قبلك من الرسل،

فإن قولهم لا يضر الحق شيئا، و لا يضرونك في شيء،و إنما يضرون أنفسهم.

❍لما أمر اللّه رسوله بالصبر على قومه، أمره أن يستعين على الصبر بالعبادة للّه وحده، و يتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى:-

(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)

(وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ)

و من أعظم العابدين، نبي اللّه داود عليه السلام

(ذَا ٱلْأَيْدِ)

أي: القوة العظيمة على عبادة اللّه تعالى، في بدنه و قلبه.

***وَ الْأَيْدُ:- الْقُوَّةُ فِي الْعِلْمِ وَ الْعَمَلِ.

***الْأَيْدُ:الْقُوَّةُ وَ قَرَأَ ابْنُ زَيْدٍ:-{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}

[الذَّارِيَاتِ: ٤٧]

***الْأَيْدُ: الْقُوَّةُ فِي الطَّاعَةِ.

***صحيح البخاري

١٩٧٦ - عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ:

أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ:-

وَ اللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَ لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ،

فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي

قَالَ: «فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ،

فَصُمْ وَ أَفْطِرْ،

وَ قُمْ وَ نَمْ،
وَ صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ،
فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَ ذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ».
قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ،
قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَ أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ»،
قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ،
قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عليه السلام وَ هُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ»،
فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ؟ «لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)

أي: رجَّاع إلى اللّه في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب و التأله،

و الخوف و الرجاء، و كثرة التضرع و الدعاء

رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع و التوبة النصوح.

إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ

يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

و من شدة إنابته لربه و عبادته،أن سخر اللّه الجبال معه، تسبح معه بحمد ربها

(بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ)

أول النهار و آخره.

(و) سخر

(وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ)

معه مجموعة

***محبوسة فى الهواء

(كُلّٞ)

من الجبال و الطير، لله تعالى

(لَّهُۥٓ أَوَّابٞ)

***مُطِيعٌ يُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ.

امتثالا لقوله تعالى:(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) [سبأ:١٠]

فهذه مِنَّةُ اللّه عليه بالعبادة.

***كَذَلِكَ كَانَتِ الطَّيْرُ تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ وَ تُرَجِّعُ بِتَرْجِيعِهِ إِذَا مَرَّ بِهِ الطَّيْرُ وَ هُوَ سَابِحٌ فِي الْهَوَاءِ فَسَمِعَهُ وَ هُوَ يَتَرَنَّمُ بِقِرَاءَةِ الزَّبُورِ لَا تَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ بَلْ تَقِفُ فِي الْهَوَاءِ وَ تُسَبِّحُ مَعَهُ
وَ تُجِيبُهُ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ تُرَجِّعُ مَعَهُ وَ تُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ.

❍ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال: (وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ)

أي:قويناه بما أعطيناه من الأسباب و كثرة الْعَدَد و الْعُدَدِ التي بها قوّى اللّه ملكه،

❍ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال:–(وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ)

٢٣-م١٣-ص٤٥٤

أي: النبوة و العلم العظيم،

(وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ)

أي: الخصومات بين الناس.

۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

○لما ذكر تعالى أنه آتى نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس،

و كان معروفا بذلك مقصودا،

ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما اللّه فتنة لداود،

و موعظة لخلل ارتكبه،

فتاب اللّه عليه، و غفر له، و قيض له هذه القضية،

فقال لنبيه محمد ﷺ: (وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ)

فإنه نبأ عجيب

(إِذۡ تَسَوَّرُواْ)

على داود

(ٱلۡمِحۡرَابَ)

أي: محل عبادته من غير إذن و لا استئذان،

و لم يدخلوا عليه مع باب،فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة،

(فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ)

و خاف، فــــــــ(قَالُواْ) له:-

(لَا تَخَفۡۖ)

نحن(خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ)

بالظلم

(فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ)

أي: بالعدل، و لا تمل مع أحدنا

(وَلَا تُشۡطِطۡ)

***الميسر:و لا تَجُرْ علينا في الحكم**

٢٣-م١٣-ص٤٥٤

(وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ)

*و أرشِدنا إلى

(سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ)

Oو المقصـــــــود من هـــــــذا:-

أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف،

و إذا كان ذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق،

فلم يشمئز نبي اللّه داود من وعظهما له، و لم يؤنبهما.

فقال أحدهما:-(إِنَّ هَٰذَآ أَخِى)

نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي،

و أن بغيه الصادر منه أعظم من غيره.

(لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً)

أي: زوجة، و ذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه اللّه.

(وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ)

فطمع فيها

(فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا)

أي: دعها لي، و خلها في كفالتي.

(وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ)

أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد.

فقال داود – لما سمع كلامه –

و من المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر، فلا وجه للاعتراض بقول القائل:

« لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر » ؟

(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ)

و هذه عادة الخلطاء و القرناء الكثير منهم،

فقال: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ)

*الشركاء

(لَيَبْغِي)

*ليتعدى

(بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)

لأن الظلم من صفة النفوس.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

فإن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح، يمنعهم من الظلم.

(وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ)

كما قال تعالى(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

(وَظَنَّ دَاوُۥدُ)

حين حكم بينهما

(أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ)

أي: اختبرناه و دبرنا عليه هذه القضية ليتنبه

(فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ)

لما صدر منه

(وَخَرَّۤ رَاكِعٗا)

أي: ساجدا

***وَ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ رَكَعَ أَوَّلًا ثُمَّ سَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ

(وَأَنَابَ)

للّه تعالى بالتوبة النصوح و العبادة.

(فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ)

الذي صدر منه، و أكرمه اللّه بأنواع الكرامات،

***مَا كَانَ مِنْهُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ:-إِنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

***صحيح البخاري

١٠٦٩ - ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ:" ص" لَيْسَ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ،

وَ قَدْ «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا»(١)

***سنن النسائي

٩٥٧ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي " ص "

وَ قَالَ: «سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَ نَسْجُدُهَا شُكْرًا»

***صحيح البخاري

٤٨٠٧ - عَنِ العَوَّامِ، قَالَ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا، عَنْ سَجْدَةٍ فِي " ص "

فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: مِنْ أَيْنَ سَجَدْتَ؟

فَقَالَ: أَوَمَا تَقْرَأُ: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ}.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠]

«فَكَانَ دَاوُدُ مِمَّنْ أُمِرَ نَبِيُّكُمْ ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ،

فَسَجَدَهَا دَاوُدُ عليه السلام، فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» {عُجَابٌ} [ص: ٥]:

" عَجِيبٌ. القِطُّ: الصَّحِيفَةُ هُوَ هَا هُنَا صَحِيفَةُ الحِسَابِ "

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {فِي عِزَّةٍ} [ص: ٢]: «مُعَازِّينَ»،

{المِلَّةِ الآخِرَةِ} [ص: ٧]: " مِلَّةُ قُرَيْشٍ، الِاخْتِلاَقُ: الكَذِبُ "،

{الأَسْبَابُ} [البقرة: ١٦٦]: «طُرُقُ السَّمَاءِ فِي أَبْوَابِهَا»

قَوْلُهُ: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ} [ص: ١١]: «يَعْنِي قُرَيْشًا»،

{أُولَئِكَ الأَحْزَابُ} [ص: ١٣]: «القُرُونُ المَاضِيَةُ»،

{فَوَاقٍ} [ص: ١٥]: «رُجُوعٍ»،

---

١ (ص) أي السجود عند التلاوة آية السجدة فيها. (عزائم السجود) المأمور بها و العزائم جمع عزيمة وهي ما أكد الشارع على فعله]

٢٣-م١٣-ص٤٥٤

{قِطَّنَا} [ص: ١٦]: «عَذَابَنَا»

(اتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا): «أَحَطْنَا بِهِمْ»،

{أَتْرَابٌ} [ص: ٥٢]: «أَمْثَالٌ»

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الأَيْدُ} [ص: ١٧]: «القُوَّةُ فِي العِبَادَةِ»

{الأَبْصَارُ} [ص: ٤٥]: «البَصَرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ»،

{حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص: ٣٢]: «مِنْ ذِكْرِ»،

{طَفِقَ مَسْحًا}: «يَمْسَحُ أَعْرَافَ الخَيْلِ وَ عَرَاقِيبَهَا»

{الأَصْفَادِ} [إبراهيم: ٤٩]: «الوَثَاقِ»

فقال:-(وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ)

أي: منزلة عالية، و قربة منا

(وَحُسْنَ مَـَٔابٍ)

أي: مرجع.

و هذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره اللّه لعدم الحاجة إلى ذكره،

فالتعرض له من باب التكلف،

و إنما الفائدة ما قصه اللّه علينا من لطفه به و توبته و إنابته،

و أنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها.

***وَ إِنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا وَ حُسْنَ مَرْجِعٍ

وَ هُوَ الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَاتُ فِي الْجَنَّةِ لِتَوْبَتِهِ وَ عَدْلِهِ التَّامِّ فِي مُلْكِهِ

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ:-

***صحيح مسلم

(١٨٢٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: وَ أَبُو بَكْرٍ:

يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَ فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ:

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ مَا وَلُوا»

(يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ)

تنفذ فيها القضايا الدينية و الدنيوية،

(فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ)

أي: العـــــــدل، و هذا لا يتمكن منه، إلا :-

١-بعلم بالواجب،

٢-و علم بالواقع،

٣-و قدرة على تنفيذ الحق،

(وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ)

فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر

(فَيُضِلَّكَ)

الهوى

(عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ)

و يخرجك عن الصراط المستقيم،

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

خصوصا المتعمدين منهم،

(لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ)

***الميسر:بغفلتهم عن يوم الجزاء و الحساب.**

○فلو ذكروه و وقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن.

***هَذِهِ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِوُلَاةِ الْأُمُورِ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِه تَبَارَكَ وَ تعَالَى

وَ لَا يَعْدِلُوا عَنْهُ فَيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ

وَ قَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ،وَ تَنَاسَى يَوْمَ الْحِسَابِ،

بِالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ وَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ

مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾

إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ

عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ

وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾

فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾

وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾

وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ

ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾

وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ

مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾

(وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ)

يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات و الأرض،

(وَمَا بَيۡنَهُمَا)

و أنه لم يخلقهما

(بَٰطِلٗاۚ)

أي:—عبثا و لعبا من غير فائدة و لا مصلحة

***الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ بَعْثًا وَ لَا مَعَادًا وَ إِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الدَّارَ فَقَطْ،

(ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ)

بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله.

(فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ)

فإنها التي تأخذ الحق منهم، و تبلغ منهم كل مبلغ.

❍و إنما خلق اللّه السماوات و الأرض بالحق و للحق،

فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه و قدرته و سعة سلطانه،

و أنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات و الأرض،

و أن البعث حق، و سيفصل اللّه بين أهل الخير و الشر.

و لا يظن الجاهل بحكمة اللّه أن يسوي اللّه بينهما في حكمه،

و لهذا قال:-(أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ)

هذا غير لائق بحكمتنا و حكمنا.

***لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ وَ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ،

وَ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ دَارٍ أُخْرَى يُثَابُ فِيهَا هَذَا الْمُطِيعُ

وَ يُعَاقَبُ فِيهَا هَذَا الْفَاجِرُ.

وَ هَذَا الْإِرْشَادُ يَدُلُّ الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ وَ الْفِطَرَ الْمُسْتَقِيمَةَ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعَادٍ وَ جَزَاءٍ

فَإِنَّا نَرَى الظَّالِمَ الْبَاغِيَ يَزْدَادُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ وَ نَعِيمُهُ وَ يَمُوتُ كَذَلِكَ

وَ نَرَى الْمُطِيعَ الْمَظْلُومَ يَمُوتُ بِكَمَدِهِ

فَلَا بُدَّ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِنْصَافِ هَذَا مِنْ هَذَا.

وَ إِذَا لَمْ يَقَعْ هَذَا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى لِهَذَا الْجَزَاءِ وَالْمُوَاسَاةِ.

وَ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَآخِذِ الْعَقْلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ، قَالَ:-

(كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ)

فيه خير كثير، و علم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، و شفاء من داء،

و نور يستضاء به في الظلمات،

و كل حكم يحتاج إليه المكلفون،

و فيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه اللّه.

(لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ)

أي: هذه الحكمة من إنزاله،

ليتدبـــــــــر النــــــــاس آياته،فـــــــــ:-

١-يستخــــــــــرجوا علمهــــــــا

٢-و يتأملــــــــوا أسرارهــــــــا و حكمهــــــــا

○فإنه بالتدبر فيه و التأمل لمعانيه،و إعادة الفكــــــر فيها مرة بعد مرة:-

تــــــدرك بركتـــــــه و خيــــــره،

○و هــــــــذا يــــــدل عــــــلى :-

١-الحــــــــــث على تدبر القرآن و أنه من أفضل الأعمال،

٢-و أن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

(وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم و مطلوب

فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان و عقله يحصل له التذكر و الانتفاع بهذا الكتاب.

***قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-
وَ اللَّهِ مَا تَدَبُّره بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَ إِضَاعَةِ حُدُودِهِ،
حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ:-.
قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مَا يُرَى لَهُ القرآنُ فِي خُلُقٍ وَ لَا عَمَلٍ.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

❍لما أثنى تعالى على داود،و ذكر ما جرى له و منه، أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام

فقال: (وَوَهَبْنَا)

أي: أنعمنا به عليه، و أقررنا به عينه.

(لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ)

***نبيا

كَمَا قَالَ: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ}

أَيْ: فِي النُّبُوَّةِ وَ إِلَّا فَقَدَ كَانَ لَهُ بَنُونَ غَيْرُهُ،

فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ امْرَأَةٍ حَرَائِرَ.

(نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ)

سليمان ﷺ، فإنه اتصف بما يوجب المدح،

و هو (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)

أي: رجَّاع إلى اللّه في جميع أحواله، بالتأله و الإنابة، و المحبة و الذكر

و الدعاء و التضرع،

و الاجتهاد في مرضاة اللّه، و تقديمها على كل شيء.

(إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ)

*الميسر:-عصراً

Oو لهذا، لما عرضت عليه الخيل

(ٱلۡجِيَادُ)

السبق

***السِّرَاعُ

(ٱلصَّٰفِنَٰتُ)

أي: التي من وصفها الصفون، و هو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف،

***وَ هِيَ الَّتِي تَقِفُ عَلَى ثَلَاثٍ وَ طَرَفِ حَافِرِ الرَّابِعَةِ

و كان لها منظر رائق، و جمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالملوك،

فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب،

فألهته عن صلاة المساء و ذكره.

فقال ندما على ما مضى منه، و تقربا إلى اللّه بما ألهاه عن ذكره،

و تقديما لحب اللّه على حب غيره:

(فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ)

و ضمن (أَحۡبَبۡتُ)معنى (آثرت) أي:-

آثرت حب الخير، الذي هو المال عموما،

و في هذا الموضع المراد الخيل

***ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِعَرْضِهَا حَتَّى فَاتَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَ الَّذِي يُقْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا عَمْدًا بَلْ نِسْيَانًا

كَمَا شُغِلَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى صَلَّاهَا بَعْدَ الْغُرُوبِ

***سنن أبي داود

٤٩٣٢ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:-

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ وَ فِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ،

فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ،

فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟»

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

قَالَتْ: بَنَاتِي، وَ رَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ
فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟»
قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَ مَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟»
قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟»
قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟
قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ

(عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ)

حتى غابت الشمس في الحجاب،

(رُدُّوهَا عَلَيَّۖ)

فردوها

(فَطَفِقَ)

*الميسر:-فشرع [فيها]

(مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ)

أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها و أعناقها.

***ضَرَبَ أَعْنَاقَهَا وَ عَرَاقِيبَهَا بِالسُّيُوف.

***جَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ، وَ عَرَاقِيبُهَا حُبًّا لَهَا

***وَ هَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ قَالَ: -

لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبَ حَيَوَانًا بِالْعَرْقَبَةِ وَ يُهْلِكَ مَالًا مِنْ مَالِهِ بِلَا سَبَبٍ سِوَى أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَنْ صَلَاتِهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَ لَا ذَنْبَ لَهَا.

وَ هَذَا الَّذِي رَجَّحَ بِهِ ابْنُ جَرِيرٍ فِيهِ نَظَرٌ؛

لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي شَرْعِهِمْ جَوَازُ مِثْلِ هَذَا وَ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ غَضَبًا لله عز وجل بسبب أنه اشْتَغَلَ بِهَا حَتَّى خَرَجَ وَقْتُ الصَّلَاة؛

وَ لِهَذَا لَمَّا خَرَجَ عَنْهَا لِلَّهِ تَعَالَى عَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا

وَ هِيَ الرِّيحُ الَّتِي تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ فَهَذَا أَسْرَعُ وَ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْلِ

***مسند أحمد ط الرسالة:-

٢٠٧٣٩ - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، وَ أَبِي الدَّهْمَاءِ،

قَالَا: كَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ،

قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ،

فَقَالَ الْبَدَوِيُّ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ

وَ قَالَ: " إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ "

***الميسر:-و كان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته.**

(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ)

أي:ابتليناه و اختبرناه بذهاب ملكه و انفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية،

(وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا)

أولا:-

أي: شيطانا قضى اللّه و قدر أن يجلس على كرسي ملكه،

و يتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان،

ثانيا:-

***الميسر:ألقينا على كرسيه شق وَلَد،**

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

وُلِد له حين أقسم ليطوفنّ على نسائه،
و كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله،
و لم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً،
فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد،

(ثُمَّ أَنَابَ)

أولا :–

***رَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ أُبَّهَتِهِ
***عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا{وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}
قَالَ: أَرَادَ سُلَيْمَانُ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ فَأَعْطَى الْجَرَادَةَ خَاتَمَهُ -
وَ كَانَتِ الْجَرَادَةُ امْرَأَتَهُ وَ كَانَتْ أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ-
فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهَا:-
هَاتِي خَاتَمِي. فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ. فَلَمَّا لَبِسَهُ دَانَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ وَ الشَّيَاطِينُ
فَلَمَّا خَرَجَ سُلَيْمَانُ مِنَ الْخَلَاءِ
قَالَ لَهَا: هَاتِي خَاتَمِي. قَالَتْ: قَدْ أَعْطَيْتُهُ سُلَيْمَانَ.
قَالَ: أَنَا سُلَيْمَانُ. قَالَتْ: كَذَبْتَ لَسْتَ سُلَيْمَانَ فَجَعَلَ لَا يَأْتِي أَحَدًا يَقُولُ لَهُ:
"أَنَا سُلَيْمَانُ"، إِلَّا كَذَّبَهُ حَتَّى جَعَلَ الصِّبْيَانُ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ.
فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
قَالَ:وَ قَامَ الشَّيْطَانُ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى سُلَيْمَانَ
سُلْطَانَهُ أَلْقَى فِي قُلُوبِ النَّاسِ إِنْكَارَ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ.

....
فَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَانُ أَنَّهُ قَدْ فَطِنَ لَهُ ظَنَّ أَنَّ أَمْرَهُ قَدِ انْقَطَعَ فَكَتَبُوا كُتُبًا فِيهَا
سِحْرٌ وَ كُفْرٌ،

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

فَدَفَنُوهَا تَحْتَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ ثُمَّ أَثَارُوهَا و قرءوها على الناس.

....

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}
قَالَ: يَعْنِي الشَّيْطَانَ الَّذِي كَانَ سُلِّطَ عَلَيْهِ.

ثانيا:–

***الميسر:ثم رجع سليمان إلى ربه و تاب،**

فـ(قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ)

***أَنَّهُ سَأَلَ مِنَ اللَّهِ تعَالَى مُلْكًا لَا يَكُونُ لِأَحدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلُهُ

***صحيح البخاري

٣٤٢٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم:
«إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي،
فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ،
فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ،
فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي
فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا» {عِفْرِيتٌ} [النمل: ٣٩]
مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ، مِثْلُ زِبْنِيَةٍ جَمَاعَتُهَا الزَّبَانِيَةُ "(١)

***صحيح مسلم

(٥٤٢) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ:-

---

١ (عفريت) يشير إلى قوله تعالى {قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك} النمل ٣٩ /. (به) أي بعرش بلقيس. (مقامك) مجلس قضائك. (جماعتها) أي جمعها. قيل أشار بقوله (زبنية. .) إلى أنه قال في عفريت عفرية و يجمع على عفارية]
٢٣-م١٤-ص٤٥٥

«أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ»
ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ» ثَلَاثًا، وَ بَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا،
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ
قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَ رَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ،
قَالَ: " إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي،
فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ،
وَ اللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ "

(فَسَخَّرْنَا لَهُ)

*الميسر:و ذللنا

(ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ)

*الميسر:-طيّعة مع قوتها و شدتها
***لَمَّا عَقَرَ سُلَيْمَانُ الْخَيْلَ غَضَبًا لِلَّهِ، عَزَّ وَ جَلَّ عَوَّضَهُ اللَّهُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا وَ أَسْرَعُ الرِّيحُ الَّتِي غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ.

(رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ)

***حَيْثُ أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ

❍فاستجاب اللّه له و غفر له، و رد عليه ملكه،

و زاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده،

و هو تسخير الشياطين له،

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

(وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ)

يبنون ما يريد،

***مِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْأَبْنِيَةِ الْهَائِلَةِ مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ

(وَغَوَّاصٖ)

و يغوصون له في البحر، يستخرجون الدر و الحلي

(وَ الْجَوَاهِرِ وَ الْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهَا)

(وَءَاخَرِينَ)

*الميسر:و هم مردة الشياطين،

(مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ)

*موثوقون في الأغلال.

و من عصاه منهم قرنه في الأصفاد و أوثقه(أَوْ قَدْ أَسَاءَ فِي صنيعه و اعتدى)

و قلنا له: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا)

فَقَرَّ به عينا

(فَٱمۡنُنۡ)

على من شئت،

(أَوۡ أَمۡسِكۡ)

من شئت

(بِغَيۡرِ حِسَابٖ)

أي: لا حرج عليك في ذلك و لا حساب

لعلمه تعالى بكمال عدله، و حسن أحكامه،

***وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمَّا خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا -

وَ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَ إِنَّمَا هُوَ قَاسِمٌ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ-

وَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَ يَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِلَا حِسَابٍ وَ لَا جُنَاحٍ،

اخْتَارَ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى بَعْدَ مَا اسْتَشَارَ جِبْرِيلَ

فَقَالَ لَهُ: تَوَاضَعْ فَاخْتَارَ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى لِأَنَّهَا أَرْفَعُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَ أَعْلَى مَنْزِلَةً فِي الْمَعَادِ

وَ إِنْ كَانَتِ الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَةُ وَ هِيَ النُّبُوَّةُ مَعَ الْمُلْكِ عَظِيمَةً أَيْضًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ

❍و لا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة،

بل له في الآخرة خير عظيم.

و لهذا قال:–(وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ)

أي: هو من المقربين عند اللّه المكرمين بأنواع الكرامات للّه.

(وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ)

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

*الميسر:-مرجع.

فصل فيما تبين لنا من الفوائد و الحكم في قصة داود و سليمان عليهما السلام:-

١–أن اللّه تعالى يقص على نبيه محمد ﷺأخبار من قبله،
ليثبت فؤاده و تطمئن نفسه، و يذكر له من عباداتهم و شدة صبرهم و إنابتهم،
ما يشوقه إلى منافستهم، و التقرب إلى اللّه الذي تقربوا له،
و الصبر على أذى قومه،
و لهذا – في هذا الموضع – لما ذكر اللّه ما ذكر من أذية قومه
و كلامهم فيه و فيما جاء به، أمره بالصبر، و أن يذكر عبده داود فيتسلى به.
٢–أن اللّه تعالى يمدح و يحب القوة في طاعته، قوة القلب و البدن،
فإنه يحصل منها من آثار الطاعة و حسنها و كثرتها، ما لا يحصل مع الوهن
و عدم القوة
و أن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها،
و عدم الركون إلى الكسل و البطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.
٣–أن الرجوع إلى اللّه في جميع الأمور من أوصاف أنبياء اللّه و خواص خلقه،
كما أثنى اللّه على داود و سليمان بذلك،
فليقتد بهما المقتدون، و ليهتد بهداهم السالكون
(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)
٤–ما أكرم اللّه به نبيه داود عليه السلام، من حسن الصوت العظيم

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

الذي جعل اللّه بسببه الجبال الصم، و الطيور البهم،

يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، و يسبحن معه بالعشي و الإشراق.

٥-أن من أكبر نعم اللّه على عبده، أن يرزقه العلم النافع،

و يعرف الحكم و الفصل بين الناس

كما امتن اللّه به على عبده داود عليه السلام.

٦-اعتناء اللّه تعالى بأنبيائه و أصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته

إياهم و ابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور،

و يعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود و سليمان عليهما السلام.

٧-أن الأنبياء صلوات اللّه و سلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون

عن اللّه تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك،

و أنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي،

و لكن اللّه يتداركهم و يبادرهم بلطفه.

٨-أن داود عليه السلام كان في أغلب أحواله ملازما محرابه لخدمة ربه،

و لهذا تسور الخصمان عليه المحراب،

لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد،

فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام،

بل جعل له وقتا يخلو فيه بربه، و تقر عينه بعبادته،

و تعينه على الإخلاص في جميع أموره.

٩–أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام و غيرهم،

فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة

و من غير الباب المعهود، فزع منهم،و اشتد عليه ذلك، و رآه غير لائق

بالحال.

١٠–أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم و فعله ما لا

ينبغي.

١١–كمال حلم داود عليه السلام فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان،

و هو الملك، و لا انتهرهما، و لا وبخهما.

١٢–جواز قول المظلوم لمن ظلمه « أنت ظلمتني » أو « يا ظالم »

و نحو ذلك أو باغ علي لقولهما: (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ)

١٣–أن الموعوظ و المنصوح، و لو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه

أحد، أو وعظه، لا يغضب، و لا يشمئز،

بل يبادره بالقبول و الشكر،

فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز و لم يغضب و لم يثنه ذلك عن الحق،

بل حكم بالحق الصرف.

٤–أن المخالطة بين الأقارب و الأصحاب، و كثرة التعلقات الدنيوية المالية،

موجبة للتعادي بينهم، و بغي بعضهم على بعض،

و أنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى اللّه،

و الصبر على الأمور، بالإيمان و العمل الصالح،
و أن هذا من أقل شيء في الناس.
٥–أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب،
فإن اللّه رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره و سجوده.
٦–إكرام اللّه لعبده داود و سليمان، بالقرب منه، و حسن الثواب،
و أن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند اللّه تعالى،
و هذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم و أزال أثر ذنوبهم،
أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق،
فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى،
فأزال اللّه تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.
٧–أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل اللّه و خواص خلقه،
و أن وظيفة القائم بها الحكم بالحق و مجانبة الهوى،
فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية،
و العلم بصورة القضية المحكوم بها، و كيفية إدخالها في الحكم الشرعي،
فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، و لا يحل له الإقدام عليه.
٨–أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، و يجعله منه على بال
فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده،
و أن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.
٩–أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، و من منن اللّه عليه حيث وهبه له،

و أن من أكبر نعم اللّه على عبده، أن يهب له ولدا صالحا،

فإن كان عالما، كان نورا على نور.

١٠-ثناء اللّه تعالى على سليمان و مدحه في قوله (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)

١١-كثرة خير اللّه وبره بعبيده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال و مكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، و هو المتفضل الوهاب.

١٢-تقديم سليمان محبة اللّه تعالى على محبة كل شيء.

١٣-أن كل ما أشغل العبد عن اللّه، فإنه مشئوم مذموم،

فَلْيُفَارِقْه و لْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.

١٤-القاعدة المشهورة « من ترك شيئا لله عوضه اللّه خيرا منه »

فسليمان ﷺ عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة اللّه،

فعوضه اللّه خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة،

التي تجري بأمره إلى حيث أراد و قصد، غدوها شهر، و رواحها شهر،

و سخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

١٥-أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان ﷺ

١٦-أن سليمان ﷺ كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، و لكنه لا يريد إلا العدل،

بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر اللّه،

فلا يفعل و لا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد ﷺ و هذه الحال أكمل.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

***يَذْكُرُ تَعَالَى عَبْدَهُ وَ رَسُولَهُ أَيُّوبَ عليه السلام وَ مَا كَانَ ابْتَلَاهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الضُّرِّ فِي جَسَدِهِ وَ مَالِهِ وَ وَلَدِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَنْ جَسَدِهِ مَغْرز إِبْرَةٍ سَلِيمًا سِوَى قَلْبِهِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَنْ حَالِ الدُّنْيَا شَيْءٌ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَرَضِهِ وَ مَا هُوَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ زَوْجَتَهُ حَفِظَتْ وِدَّهُ لِإِيمَانِهَا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ

فَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ بِالْأُجْرَةِ وَ تُطْعِمُهُ وَ تَخْدُمُهُ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً.

وَ قَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَالٍ جَزِيلٍ وَ أَوْلَادٍ وَ سَعَةٍ طَائِلَةٍ مِنَ الدُّنْيَا فَسُلِبَ جَمِيعَ ذَلِكَ

حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ مِنْ مَزَابِلِ الْبَلْدَةِ هَذِهِ الْمُدَّةَ بِكَمَالِهَا وَ رَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَ الْبَعِيدُ سِوَى زَوْجَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تُفَارِقُهُ صَبَاحًا وَ لَا مَسَاءً إِلَّا بِسَبَبِ خِدْمَةِ النَّاسِ ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ قَرِيبًا.

أي: ﴿وَاذْكُرْ﴾

في هذا الكتاب ذي الذكر

﴿عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾

بأحسن الذكر، و أثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر،

فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، و لا لجأ إلا إليه.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾

داعيا، و إليه لا إلى غيره شاكيا،

فَلَمَّا طَالَ الْمَطَالُ وَ اشْتَدَّ الْحَالُ وَ انْتَهَى الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ وَ تَمَّ الْأَجَلُ الْمُقَدَّرُ تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِلَهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: -

{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ: ٨٣]

وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَالَ:-

رب (أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ)

***فِي بَدَنِي

(وَعَذَابٍ)

فِي مَالِي وَ وَلَدِي

أي: بأمر مشق متعب معذب،

و كان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح،

ثم تقيح بعد ذلك و اشتد به الأمر، و كذلك هلك أهله و ماله.

فقيل له: (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ)

أي: اضرب الأرض بها،

(هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ)

فَأَنْبَعَ اللَّهُ عَيْنًا وَ أَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنْهَا فَأَذْهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْأَذَى

(وَشَرَابٞ)

ثُمَّ أَمَرَهُ فَضَرَبَ الْأَرْضَ فِي مَكَانٍ آخَرَ فَأَنْبَعَ لَهُ عَيْنًا أُخْرَى وَ أَمَرَهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ فِي بَاطِنِهِ مِنَ السُّوءِ

وَ تَكَامَلَتِ الْعَافِيَةُ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا

❍لينبع لك منها عين تغتسل منها و تشرب، فيذهب عنك الضر و الأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، و شفاه اللّه تعالى.

***عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ:-

"إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ ﷺلَبِث بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً

فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَ الْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ بِهِ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَ يَرُوحَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:-

تَعلَّمْ -وَ اللَّهِ-لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَ مَا ذَاكَ؟

قَالَ: مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ، فيكشفَ مَا بِهِ

فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ.

فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،

فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَذْكُرَا اللَّهَ إِلَّا فِي حَقٍّ.

قَالَ:-وَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا وَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَيُّوبَ، ﷺ

أَنِ {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}

فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَ هُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ.

فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى.

فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا.

قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ.

قَالَ: وَ كَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَ أَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ

٢٣-م١٤-ص٤٥٥

فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ وَ أَفْرَغَتِ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ حَتَّى فَاضَ.

***صحيح البخاري

٢٧٩ - وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ:-بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ،

فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِه،

فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟

قَالَ: بَلَى وَ عِزَّتِكَ، وَ لَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ "

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا
فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ
﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ
وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ
لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾
إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾
جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾
وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ
إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ
﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾
وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾

(وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ)

قيل: إن اللّه تعالى أحياهم له

(وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ)

في الدنيا، و أغناه اللّه، و أعطاه مالا عظيما

(رَحۡمَةٗ مِّنَّا)

***بِهِ عَلَى صَبْرِهِ وَ ثَبَاتِهِ وَ إِنَابَتِهِ وَ تَوَاضُعِهِ وَ اسْتِكَانَتِهِ

○بعبدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا و آجلا.

(وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

أي: و ليتذكر أولو العقول بحالة أيوب و يعتبروا،

فيعلموا أن من صبر على الضر، أن اللّه تعالى يثيبه ثوابا عاجلا و آجلا

و يستجيب دعاءه إذا دعاه.

***لِذَوِي الْعُقُولِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عاقبةَ الصَّبْرِ:- الفرجُ و المخرجُ و الراحة.

(وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا)

أي حزمة شماريخ

(فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ)

قال المفسرون: و كان في مرضه و ضره، قد غضب على زوجته في بعض

الأمور، فحلف: لئن شفاه اللّه ليضربنها مائة جلدة،

فلما شفاه اللّه، و كانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها اللّه و رحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه.

(إِنَّا وَجَدْنَٰهُ)

أي: أيوب

(صَابِرًاۚ)

أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه اللّه تعالى.

(نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ)

الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء و الضراء، و الشدة و الرخاء.

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)

أي: كثير الرجوع إلى اللّه، في مطالبه الدينية و الدنيوية، كثير الذكر لربه و الدعاء، و المحبة و التأله.

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾

إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾

وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى:-(وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ)

الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا،

(إِبْرَٰهِيمَ)

الخليل

(وَ)

ابنه

(وَإِسْحَٰقَ وَ)

ابن ابنه

(وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِى)

أي: القوة على عبادة اللّه تعالى

(وَٱلْأَبْصَٰرِ)

أي: البصيرة في دين اللّه.

***الْفِقْهِ فِي الدِّينِ.

❍فوصفهم بالعلم النافع، و العمل الصالح الكثير.

(إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ)

عظيمة، و خصيصة جسيمة،

و هي: جعلنا(ذِكْرَى ٱلدَّارِ)

الآخرة في قلوبهم،

و العمل لها صفوة وقتهم،

و الإخلاص و المراقبة للّه وصفهم الدائم،

و جعلناهم ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾

يتذكر بأحوالهم المتذكر،

و يعتبر بهم المعتبر،

و يذكرون بأحسن الذكر.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ﴾

الذين اصطفاهم اللّه من صفوة خلقه،

﴿ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾

الذين لهم كل خلق كريم، و عمل مستقيم.

وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾
هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ ﴾

أي: و اذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، و أثن عليهم أحسن الثناء

﴿وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾

فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم اللّه من الخلق،

و اختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، و الأخلاق، و الصفات الحميدة،

و الخصال السديدة.

(هَٰذَا)

أي: ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة و ذكر أوصافهم،

(ذِكۡرٌۚ)

في هـــــذا القــــرآن ذي الذكـــــــر:-

١-يتذكـــــــر بأحوالهم المتذكرون،

٢-و يشتـــــــاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون

٣-و يعرف ما منَّ اللّه عليهم به من الأوصاف الزكية،و ما نشر لهم من الثناء بين البرية.

فهذا نوع من أنواع الذكر، و هو ذكر أهل الخير،

و من أنواع الذكر، ذكر جزاء أهل الخير و أهل الشر، و لهــذا قال: -

(وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ)

ربهم، بامتثال الأوامر و اجتناب النواهي، من كل مؤمن و مؤمنة،

(لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ)

أي: لمآبا حسنا، و مرجعا مستحسنا.

ثم فسره و فصله فقال:-

جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾

۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

(جَنَّٰتِ عَدۡنٖ)

أي: جنات إقامة، لا يبغي صاحبها بدلا منها، من كمالها و تمام نعيمها،

و ليسوا بخارجين منها و لا بمخرجين.

(مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ)

لأجلهم أبواب منازلها و مساكنها

لا يحتاجون أن يفتحوها هم ، بل هم مخدومون،

و هذا دليل أيضا على الأمان التام،

و أنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها.

(مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا)

على الأرائك المزينات، و المجالس المزخرفات

(يَدۡعُونَ فِيهَا)

أي: يأمرون خدامهم،أن يأتوا

(بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ)

من كل ما تشتهيه نفوسهم، و تلذه أعينهم،

و هذا يدل على كمال النعيم، و كمال الراحة و الطمأنينة، و تمام اللذة.

(۞ وَعِندَهُمۡ)

من أزواجهم، الحور العين

(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ)

طرفهن على أزواجهن، و طرف أزواجهن عليهن، لــــــــ:-

١-جمـــــــالهم كلهم،

٢-و محبـــــــة كل منهما للآخر،

٣-و عـــــــدم طموحه لغيره،

و أنه لا يبغي بصاحبه بدلا و لا عنه عوضا

(أَتۡرَابٌ)

أي: على سن واحد، أعدل سن الشباب و أحسنه و ألذه.

(هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ)

أيها المتقون

(لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)

جزاء على أعمالكم الصالحة.

(إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا)

الذي أوردناه على أهل دار النعيم

(مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ)

أي: انقطاع،

بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات،متزايد في جميع الآنات.

و ليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرءوف الرحيم، البر الجواد،

الواسع الغني، الحميد اللطيف الرحمن، الملك الديان،

الجليل الجميل المنان،

ذي الفضل الباهر، و الكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه،

و لا يحاط ببعض بره.

***كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النَّحْلِ: ٩٦]

وَ كَقَوْلِهِ {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هُودٍ: ١٠٨]

وَ كَقَوْلِهِ {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فُصِّلَتْ: ٨]

أَيْ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ

وَ كَقَوْلِهِ:{أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ}

[الرَّعْدِ: ٣٥]

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾

هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾

هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾

قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾

قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

(هَـٰذَا ۚ)

الجزاء للمتقين ما وصفناه

(وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ)

أي: المتجاوزين للحد في الكفر و المعاصي

(لَشَرَّ مَـَٔابٍ)

أي:-لشر مرجع و منقلب.

ثم فصله فقال: (جَهَنَّمَ)

التي جمع فيها كل عذاب، و اشتد حرها، و انتهى قرها

(يَصْلَوْنَهَا)

أي: يعذبون فيها عذابا يحيط بهم من كل وجه

لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل.

(فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)

المعد لهم مسكنا و مستقرا.

(هَـٰذَا)

المهاد، هذا العذاب الشديد، و الخزي و الفضيحة و النكال

(فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ)

ماء حار، قد اشتد حره، يشربونه فيَقطعُ أمعاءهم.

(وَغَسَّاقٌ)

و هو أكره ما يكون من الشراب، من قيح و صديد، مر المذاق، كريه الرائحة.

***الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ الْمُؤْلِمِ

(وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ)

أي: من نوعه

***لونه

(أَزْوَٰجٌ)

***وَ أَشْيَاءُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، الشَّيْءُ وَ ضِدُّهُ يُعَاقَبُونَ بِهَا.

***كَـــــ:-

الزَّمْهَرِيرِ وَ السَّمُومِ وَ شُرْبِ الْحَمِيمِ وَ أَكْلِ الزَّقُّومِ وَ الصُّعُودِ وَ الْهُوِيِّ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْمُتَضَادَّةِ
وَ الْجَمِيعُ مِمَّا يُعَذَّبُونَ بِهِ وَ يُهَانُونَ بِسَبَبِهِ.

○أي: عدة أصناف من أصناف العذاب، يعذبون بها و يخزون بها.

و عند تواردهم على النار يشتم بعضهم بعضا،

و يقول بعضهم لبعض:–

(هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ۖ)

***داخل

(مَّعَكُمۡ)

النار

(لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ)

***هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ قِيلِ أَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الْأَعْرَافِ: ٣٨]

يَعْنِي بَدَلَ السَّلَامِ يَتَلَاعَنُونَ وَ يَتَكَاذَبُونَ وَ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْض فَتَقُولُ الطَّائِفَةُ الَّتِي تَدْخُلُ قَبْلَ الْأُخْرَى إِذَا أَقْبَلَتِ الَّتِي بَعْدَهَا مَعَ الْخَزَنَةِ مِنَ الزَّبَانِيَةِ:

(قَالُواْ)

أي: الفوج المقبل المقتحم:

(بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ)

أي: العذاب

(لَنَاۖ)

بدعوتكم لنا، و فتنتكم و إضلالكم و تسببكم.

(فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ)

***الميسر:-فبئس دار الاستقرار جهنم.**

قرار الجميع، قرار السوء و الشر.

ثم دعوا على المُغْوِين لهم،

فـــــــ(قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّـارِ)

و قال في الآية الأخرى:-{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا تَعْلَمُونَ} [الْأَعْرَافِ: ٣٨]

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾

أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾

مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۢ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ

﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾

فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾

فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾

إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا

خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ

وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ

ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾

إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾

إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾

أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

(وَقَالُواْ)

و هم في النار

(مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا)

(نَعُدُّهُم)

نزعم أنهـــــــــم

(مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ)

المستحقين لعذاب النار، و هم المؤمنون، تفقدهم أهل النار – قبحهم اللّه –

هل يرونهم في النار؟

(أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ)

أي: عـــــدم رؤيتنـــــا لهــــم دائـــــر بين أمــــرين:-

الأمــــر الاول:-

(أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا)

***الميسر:-هل تحقيرنا لهم و استهزاؤنا بهم خطأ،**

❍إما أننا غالطون في عدنا إياهم من الأشرار، بل هم من الأخيار

و إنما كلامنا لهم من باب السخرية و الاستهزاء بهم، و هذا هو الواقع،

كما قال تعالى لأهل النار:-(إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ)

و الأمر الثاني :-

(أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ)

***الميسر:-أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟**

أنهم لعلهم زاغت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب

و إلا فهم معنا معذبون و لكن تجاوزتهم أبصارنا

فيحتمـــــــــــل أن:-

هذا الذي في قلوبهم فتكون العقائد التي اعتقدوها في الدنيا

و كثرة ما حكموا لأهل الإيمان بالنار تمكنت من قلوبهم

و صارت صبغة لها فدخلوا النار و هم بهذه الحالة فقالوا ما قالوا.

و يحتمـــــــــــل أن :-

كلامهم هذا كلام تمويه كما موهوا في الدنيا موهوا حتى في النار

و لهذا يقول أهل الأعراف لأهل النار

(أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)

قال تعالى مؤكدا ما أخبر به و هو أصدق القائلين

(إِنَّ ذَٰلِكَ)

الذي ذكرت لكم

(لَحَقٌّ)

ما فيه شك و لا مرية

(تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ)

***الميسر:-من جدال أهل النار و خصامهم**

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ (٦٦) قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ (٦٨)

مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ

(٧٠) إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ (٧١) فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ

فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ (٧٣)

إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ

لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ

وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ (٧٦) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ

ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ (٨٠)

إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٨٢)

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

(٨٣ – ٨٨)

(قُلْ)

يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك و لا بيدك: –

(إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ)

هذا نهاية ما عندي، و أما الأمر فلله تعالى،

و لكني آمركم، و أنهاكم، و أحثكم على الخير و أزجركم عن الشر

(فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَعَلَيْهَا)

(وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ)

أي: ما أحد يؤله و يعبد بحق إلا اللّه

(ٱلْوَٰحِدُ)

***الميسر:فهو المتفردُ بعظمته و أسمائه وصفاته و أفعاله،**

(ٱلْقَهَّارُ)

***الذي قهر كل شيء و غلبه.**

❍هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، و هو وحدته تعالى، و قهره لكل شيء،

فإن القهر ملازم للوحدة،

فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدا.

فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له،

و هو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهرا وحده،

و قرر ذلك أيضا بتوحيد الربوبية فقـــــــــال:-

(رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا)

أي: خالقهما، و مربيهما، و مدبرها بجميع أنواع التدابير.

(ٱلۡعَزِيزُ)

الذي له القوة، التي بها خلق المخلوقات العظيمة.

(ٱلۡغَفَّٰرُ)

لجميع الذنوب، صغيرها، و كبيرها، لمن تاب إليه و أقلع منها.

فهذا الذي يحب و يستحق أن يعبد، دون من لا يخلق و لا يرزق،

و لا يضر و لا ينفع، و لا يملك من الأمر شيئا،

و ليس له قوة الاقتدار، و لا بيده مغفرة الذنوب و الأوزار.

(قُلۡ)

لهم، مخوفا و محذرا، و منهضا لهم و منـــــــــذرا:-

(هُوَ)

***القرآن

○أي: ما أنبأتكم به من البعث و النشور و الجزاء على الأعمال

(نَبَؤٌاْ)

خبر

(عَظِيمٌ)

ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، و لا ينبغي إغفاله.

و لكن (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)

كأنه ليس أمامكم حساب و لا عقاب و لا ثواب،

فإن شككتم في قولي، و امتريتم في خبري،

فإني أخبركم بأخبار لا علم لي بها و لا درستها في كتاب،

فإخباري بها على وجهها، من غير زيادة و لا نقص، أكبر شاهد لصدقي،

و أدل دليل على حق ما جئتكم به، و لهـــــــذا قال:–

(مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ)

أي: الملائكة

***لَوْلَا الْوَحْيُ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَدْرِي بِاخْتِلَاف الْمَلَأ الْأَعْلَى؟
يَعْنِي: فِي شَأْن آدَمَ وَ امْتِنَاع إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُود لَهُ،
وَ مُحَاجَّتِهِ رَبَّهُ فِي تَفْضِيله عَلَيْهِ.

(إِذْ يَخْتَصِمُونَ)

لولا تعليم اللّه إياي، و إيحاؤه إلي،

و لهذا قال: (إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

٢٣-م١٦-ص٤٥٧

أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته ﷺ.

ثم ذكر اختصام الملأ الأعلى فقال:-(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ)

على وجه الإخبار

(إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ)

أي: مادته من طين.

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ)

أي:-سويت جسمه و تــــــــمَّ

(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)

فوطَّن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه و نفخ الروح فيه،

امتثالا لربهم، و إكراما لآدم عليه السلام،

فلما تم خلقه في بدنه و روحه، و امتحن اللّه آدم و الملائكة في العلم،

و ظهر فضله عليهم، أمرهم اللّه بالسجود.

(فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)

فسجدوا

(كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)

(إِلَّآ إِبْلِيسَ)

لم يسجد

(ٱسۡتَكۡبَرَ)

عن أمر ربه، و استكبر على آدم

(وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

في علم اللّه تعالى.

فـــــــ(قَالَ) اللّه موبخا و معاتبا:-

(يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ)

أي: شرفته و كرمته و اختصصته بهذه الخصيصة،

التي اختص بها عن سائر الخلق، و ذلك يقتضي عدم التكبر عليه.

(أَسۡتَكۡبَرۡتَ)

في امتناعك

(أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ)

(قَالَ)

إبليس معارضا لربه و مناقضا:-

(أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ)

و بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين،

(((و هذا من القياس الفاسد)))

فإن عنصر النـــــــار :-

مادة الشر و الفساد، و العلو و الطيش و الخفة

و عنصر الطيـــــــن :-

مادة الرزانة و التواضع و إخراج أنواع الأشجار و النباتات

و هو يغلب النار و يطفئها، و النار تحتاج إلى مادة تقوم بها،

و الطين قائم بنفسه،

❍فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي من اللّه،

قد تبين غاية بطلانه و فساده،

فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟

فإنها كلها أعظم بطلانا و فسادا من هذا القياس.

فـــــــ(قَالَ)

اللّه له:-

(فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا)

أي: من السماء و المحل الكريم.

(فَإِنَّكَ رَجِيمٌ)

أي: مبعد مدحور.

(وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ)

أي: طردي و إبعادي

(إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)

أي: دائما أبدا.

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ)

لشدة عداوته لآدم و ذريته، ليتمكن من إغواء من قدر اللّه أن يغويه.

فـــــــ(قَالَ)

اللّه مجيبا لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك:-

(فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ)

حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان.

فلما علم أنه منظر، بادى ربه، من خبثه، بشدة العداوة لربه و لآدم و ذريته،

فقال:-(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ)

أولا:-يحتمل أن البـــــــاء للقســـــــــم:-

و أنه أقسم بعزة اللّه ليغوينهم كلهم أجمعين.

(إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)

***كَمَا قَالَ: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا} [الْإِسْرَاءِ: ٦٢]

وَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْتَثْنَوْنَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى وَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا} [الْإِسْرَاءِ: ٦٥]

علم أن الله سيحفظهم من كيده.

ثانيا:–و يحتمل أن البــــــاء للاستعــــــــانة:–

و أنه لما علم أنه عاجز من كل وجه

و أنه لا يضل أحدا إلا بمشيئة اللّه تعالى،

فاستعان بعزة اللّه على إغواء ذرية آدم هذا، و هو عدو اللّه حقا.

و نحن يا ربنا العاجزون المقصرون، المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرفته و كرمته،

فنستعين بعزتك العظيمة، و قدرتك، و رحمتك الواسعة لكل مخلوق،

و رحمتك التي أوصلت إلينا بها، ما أوصلت من النعم الدينية و الدنيوية،

و صرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربته و عداوته،

و السلامة من شره و شركه،

و نحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا، و نؤمن بوعدك الذي قلت لنا:

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

فقد دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا

(إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾

قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سورة الزمر - بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ

فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن

دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ

فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾

لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ

هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ

يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ

كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

(قَالَ)

اللّه تعالى

(فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ)

أي: الحق و صفي، و الحق قولي.

(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)

***قُلْتُ: وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{وَلَـكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}

[السَّجْدَةِ: ١٣]

وَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا}

[الْإِسْرَاءِ: ٦٣]

❍فلما بين الرسول للناس الدليل و وضح لهم السبيل قال الله لـــــــــه: –

(قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ)

أي: على دعائي إياكم

(مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ)

أدعي أمرا ليس لي، و أقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إليَّ.

***وَ مَا أَزِيدُ عَلَى مَا أَرْسَلَنِي اللَّهُ بِهِ، وَ لَا أَبْتَغِي زِيَادَةً عَلَيْهِ
بَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ أَدَّيْتُهُ لَا أَزِيْدُ عَلَيْهِ وَ لَا أَنْقَصُ مِنْهُ
وَ إِنَّمَا أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ.
***صحيح البخاري
٤٨٠٩ -عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ،
قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ،
وَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ،
فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ:-
{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: ٨٦]

(إِنْ هُوَ)

أي: هذا الوحي و القرآن

(إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)

*** الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ
يتذكرون به كل ما ينفعهم، من مصالح دينهم و دنياهم،

فيكون شرفا و رفعة للعاملين به، و إقامة حجة على المعاندين.

فهـــــذه الســـــورة العظيمـــــة، مشتملـــــة على:–

١–الذكر الحكيم، و النبأ العظيم

٢–و إقامة الحجج و البراهين، على من كذب بالقرآن و عارضه،

و كذب من جاء به،

٣–و الإخبار عن عباد اللّه المخلصين،

٤-و جزاء المتقين و الطاغين.

فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، و وصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين.

و أكثر التذكير بها فيما بين ذلك، كقـــــــوله:-

(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا وَاذْكُرْ عِبَادَنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى هَذَا ذِكْرُ)

اللّهم علمنا منه ما جهلنا، و ذكرنا منه ما نسينا، نسيان غفلة و نسيان ترك.

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ)

أي: خبره

(بَعْدَ حِينِۭ)

و ذلك حين يقع عليهم العذاب و تتقطع عنهم الأسباب.

تم تفسير سورة ص بمنه تعالى و عونه.

تفسيـــــــر ســـــــورة الـــــــزمـــــــر و هي مكيـــــــة

سورة الزمر-بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

(تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ)

يخبر تعالى عن عظمة القرآن، و جلالة من تكلم به و نزل منه،

و أنه نزل من اللّه

(ٱلۡعَزِيزِ)

***الْمَنِيعِ الْجَنَابِ

(ٱلۡحَكِيمِ)

***فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ، وَ شَرْعِهِ، وَ قَدَرِهِ.

أي: –الذي وصفه الألوهية للخلق،

و ذلك لعظمته و كماله، و العزة التي قهر بها كل مخلوق، و ذل له كل شيء،

و الحكمة في خلقه و أمره.

فالقرآن نازل ممن هذا وصفه،

و الكلام وصف للمتكلم، و الوصف يتبع الموصوف،

فكما أن اللّه تعالى هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له

فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له،

فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته.

(إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ)

و لكنه – مع هذا – زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه،

و هو محمد ﷺ الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب،

و بما نزل به، و هو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه،

لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور،

و نزل مشتملا على الحق في أخباره الصادقة، و أحكامه العادلة

فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية

و ما بعد الحق إلا الضلال

و لما كان نازلا من الحق،

مشتملا على الحق لهداية الخلق، على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة،

وجلّت، و وجب القيام بشكرها،

و ذلك بإخلاص الدين للّه،

فلهذا قال: (فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ)

أي: أخلص للّه تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة و الشرائع الباطنة: -

الإسلام و الإيمان و الإحسان، بأن تفرد اللّه وحده بها،

و تقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد.

(أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ)

*** لَا يُقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أَخْلَصَ فِيهِ الْعَامِلُ لِلَّهِ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

❍هذا تقرير للأمر بالإخلاص،

و بيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله،

و له التفضل على عباده من جميع الوجوه،

فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب،

فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، و ارتضاه لصفوة خلقه و أمرهم به،

لأنه متضمن للتأله للّه في حبه و خوفه و رجائه،

و للإنابة إليه في عبوديته، و الإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

و ذلك الذي يصلح القلوب و يزكيها و يطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة.

فإن اللّه بريء منه، و ليس للّه فيه شيء،فهو أغنى الشركاء عن الشرك،

و هو مفسد للقلوب و الأرواح و الدنيا و الآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء،

فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به،

و أخبر بذم من أشرك به فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾

أي: يتولونهم بعبادتهم و دعائهم،معتذرين عن أنفسهم و قائلين:-

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾

*الميسر:-و تقربنا عنده منزلة

***إِنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَصْنَامٍ اتَّخَذُوهَا عَلَى صُوَرِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي زَعْمِهِمْ،

فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَرَ تَنْزِيلًا لِذَلِكَ مَنْزِلَةَ عِبَادَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ؛

لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عند الله فِي نَصْرِهِمْ وَ رِزْقِهِمْ،

وَ مَا يَنُوبُهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، فَأَمَّا الْمَعَادُ فَكَانُوا جَاحِدِينَ لَهُ كَافِرِينَ بِهِ.

***وَ لِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ إِذَا حَجُّوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ:-

"لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَ مَا مَلَكَ".

٢٣-م١٧-ص٤٥٨

وَ هَذِهِ الشُّبْهَةُ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْمُشْرِكُونَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَ حَدِيثِهِ،
وَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، بِرَدِّهَا وَ النَّهْيِ عَنْهَا،
وَ الدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ فِيهِ
وَ لَا رَضِيَ بِهِ، بَلْ أَبْغَضَهُ وَ نَهَى عَنْهُ:-
{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النَّحْلِ:٣٦]
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ}
[الْأَنْبِيَاءِ:٢٥]
***وَ أَخْبَرَ أَنَّ الملائكة التي في السموات مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ غَيْرِهِمْ،
كُلَّهُمْ عَبِيدٌ خَاضِعُونَ لِلَّهِ، لَا يَشْفَعُونَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنِ ارْتَضَى،
وَ لَيْسُوا عِنْدَهُ كَالْأُمَرَاءِ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ، يُشَفَّعُونَ عِنْدَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فِيمَا
أَحَبَّهُ الْمُلُوكُ وَ أَبَوْهُ،
{فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ} [النَّحْلِ:٧٤]تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

❍أي: لترفع حوائجنا للّه، و تشفع لنا عنده،

و إلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، و لا ترزق، و لا تملك من الأمر شيئا.

أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر اللّه به من الإخلاص،

و تجرأوا على أعظم المحرمات، و هو الشرك،

و قاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك،

و زعموا بعقولهم الفاسدة و رأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم

إلا بوجهاء، و شفعاء، و وزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم،

٢٣-م١٧-ص٤٥٨

و يستعطفونهم عليهم، و يمهدون لهم الأمر في ذلك، أن اللّه تعالى كذلك.

و هذا القياس من أفسد الأقيسة،

و هو يتضمن التسوية بين الخالق و المخلوق،

مع ثبوت الفرق العظيم، عقلا و نقلا و فطرة،

فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم و بين رعاياهم،

لأنهم لا يعلمون أحوالهم.

فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم،

و ربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة،

فيحتاج من يعطفهم عليه و يسترحمه لهم و يحتاجون إلى الشفعاء و الوزراء،

و يخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم،

و مداراة لخواطرهم،

و هم أيضا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

و أما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور و بواطنها،

الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته و عباده، و هو تعالى أرحم الراحمين،

و أجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده،

بل هو أرحم بهم من أنفسهم و والديهم،

و هو الذي يحثهم و يدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته،

و هو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم،

و هو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم

و آخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل و تمنى،

لم ينقصوا من غناه شيئا،

و لم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

و جميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، و له الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، و سفههم العظيم، و شدة جراءتهم عليه.

و يعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره اللّه تعالى،

لأنه يتضمن القدح في اللّه تعالى،

و لهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين و المشركين،

و في ضمنه التهديد للمشركين :-

(إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ)

***يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

أَيْ: سَيَفْصِلُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، وَ يَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ،

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}

[سَبَأٍ:٤١، ٤٠] .

❍و قد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم،

و من يشرك باللّه فقد حرم اللّه عليه الجنة، و مأواه النار.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى)

أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم

(مَنۡ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ)

أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ و الآيات

و لا يزول عنه ما اتصف به، و يريه اللّه الآيات، فيجحدها و يكفر بها

و يكذب،

فهذا أنَّى له الهدى و قد سد على نفسه الباب،

و عوقب بأن طبع اللّه على قلبه، فهو لا يؤمن؟

لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَـٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾

أي: (لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا)

كما زعم ذلك من زعمه، من سفهاء الخلق

(لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ)

بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاءه، و اختصه لنفسه

و جعله بمنزلة الولد، و لم يكن حاجة إلى اتخاذ الصاحبة.

***لَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا يَزْعُمُونَ .

وَ هَذَا شَرْطٌ لَا يَلْزَمُ وُقُوعُهُ وَ لَا جَوَازُهُ، بَلْ هُوَ مُحَالٌ،
وَ إِنَّمَا قَصَدَ تَجْهِيلَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ وَ زَعَمُوهُ،
كَمَا قَالَ:-{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ}
[الْأَنْبِيَاءِ:١٧]
{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزُّخْرُفِ:٨١]
كُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ الشَّرْطِ،
وَ يَجُوزُ تَعْلِيقُ الشَّرْطِ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ لِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَ قَوْلُهُ: –

(سُبْحَـٰنَهُۥ)

عما ظنه به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون.
***تَعَالَى وَ تَنَزَّهَ وَ تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ،

(هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ)

أي: الواحد (الْأَحَدُ) في ذاته، و في أسمائه، و في صفاته، و في أفعاله،
***الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ عَبْدٌ لَدَيْهِ، فَقِيرٌ إِلَيْهِ،
وَ هُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ الَّذِي قَدْ قَهَرَ الْأَشْيَاءَ فَدَانَتْ لَهُ وَ ذَلَّتْ وَ خَضَعَتْ.
❍فلا شبيه له في شيء من ذلك، و لا مماثل،
فلو كان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيها له في وحدته،
لأنه بعضه، و جزء منه.

(ٱلْقَهَّـٰرُ)

لجميع العالم العلوي و السفلي،

فلو كان له ولد لم يكن مقهورا، و لكان له إدلال على أبيه و مناسبة منه.

و وحدته تعالى و قهره متلازمـــــــــان:-

فالواحد لا يكون إلا قهارا،

و القهار لا يكون إلا واحدا،

و ذلك ينفي الشركة له من كل وجه.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥

يخبر تعالى أنه (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ)

أي: بالحكمة و المصلحة، و ليأمر العباد و ينهاهم، و يثيبهم و يعاقبهم.

(يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ)

أي: يدخل كلا منهما على الآخر، و يحله محله،

فلا يجتمع هذا و هذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه.

***سَخَّرَهُمَا يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنَ لَا يَقِرَّانِ،كُلٌّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْآخَرَ طَلَبًا حَثِيثًا،

كَقَوْلِهِ:-{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا}[الْأَعْرَافِ:٥٤]

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ)

بتسخير منظم، و سير مقنن.

(كُلٌّ)

من الشمس و القمر

(يَجۡرِي)

متأثرا عن تسخيره تعالى

(لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ)

و هو انقضاء هذه الدار و خرابها،

فيخرب اللّه آلاتها و شمسها و قمرها،

و ينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار.

(أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء،

الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، و سخرها تجري بأمره.

(ٱلۡغَفَّٰرُ)

لذنوب عباده التوابين المؤمنين، كما قال تعالى:

(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)

الغفار لمن أشرك به بعد ما رأى من آياته العظيمة، ثم تاب و أناب.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ
أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾
إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ
إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾
أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ
قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾
قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ
أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

و من عزته أن (خَلَقَكُم)

على كثرتكم و انتشاركم، في أنحاء الأرض،

***مَعَ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِكُمْ وَ أَصْنَافِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ

(مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ)

وَ هُوَ آدَمُ عليه السلام

(ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا)

و ذلك ليسكن إليها و تسكن إليه، و تتم بذلك النعمة.

***وَ هِيَ حَوَّاءُ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَقَوْلِهِ:-

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النِّسَاءِ:١]

(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ)

أي: خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم

(ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ)

و هي التي ذكرها في سورة الأنعام

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} [الْأَنْعَامِ:١٤٣]

{وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} [الْأَنْعَامِ:١٤٤]

و خصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لــــــــ:-

١-كثرة نفعهــــــــــا،

٢-و عموم مصالحها،

٣-و لشرفهــــــــــا،

٤-و لاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها،

كالأضحية و الهدي، و العقيقة، و وجوب الزكاة فيها،

٥-و اختصاصها بالدية.

و لما ذكر خلق أبينا و أمنا، ذكر ابتداء خلقنا

فقال: (يَخْلُقُكُمْ)

***قدَّرَكُمْ

(فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ)

(خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ)

***يَكُونُ أَحدُكُمْ أَوَّلًا نُطفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً،

ثُمَّ يُخْلَقُ فَيَكُونُ لَحْمًا وَ عَظْمًا وَ عَصَبًا وَ عُرُوقًا،

وَ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَصِيرُ خَلْقًا آخرَ، {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}
[الْمُؤْمِنُونَ:١٤] .

أي: طورا بعد طور، و أنتم في حال لا يد مخلوق تمسكم، و لا عين تنظر إليكم، و هو قد رباكم في ذلك المكان الضيق

(فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ)

ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة

[الَّتِي هِيَ كَالْغِشَاوَةِ وَ الْوِقَايَةِ عَلَى الْوَلَدِ]

(ذَٰلِكُمُ)

الذي خلق السماوات و الأرض، و سخر الشمس و القمر،

و خلقكم و خلق لكم الأنعام و النعم

(ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ)

أي: المألوه المعبود، الذي رباكم و دبركم

(لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ)

***الميسر:المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده،**

❍فكما أنه الواحد في خلقه و تربيته لا شريك له في ذلك،

فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له،

و لهذا قال: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ)

٢٣-م١٨-ص٤٥٩

***الميسر:-فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره مِن خلقه؟**

❍بعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان،

التي لا تدبر شيئا، و ليس لها من الأمر شيء.

(إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ)

لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم

و لكن أمره و نهيه لكم محض فضله و إحسانه عليكم.

***كَمَا قَالَ مُوسَى:

{إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}[إِبْرَاهِيمَ:٨]

صحيح مسلم

٢٥٧٧-قال النبى ﷺ:-

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا،
يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،

(وَلَا يَرۡضَىٰ)

***لَا يُحِبُّهُ وَ لَا يَأْمُرُ بِهِ

(لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ)

لكمال إحسانه بهم، و علمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها،

و لأنه خلقهم لعبادته،

فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله.

(وَإِن تَشۡكُرُواْ)

للّه تعالى بتوحيده، و إخلاص الدين له

(يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ)

لرحمته بكم،

و محبته للإحسان عليكم،

و لفعلكم ما خلقكم لأجله.

و كما أنه لا يتضرر بشرككم و لا ينتفع بأعمالكم و توحيدكم،

كذلك كل أحد منكم له عمله، من خيـــــــر و شـــــــر

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ)

***لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، بَلْ كُلٌّ مُطَالَبٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ،

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ)

في يوم القيامة

(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ)

إخبارا أحاط به علمه،

و جرى عليه قلمه،

و كتبته عليكم الحفظة الكرام،

و شهدت به عليكم الجوارح، فيجازي كلا منكم ما يستحقه.

(إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)

أي: بنفس الصدور، و ما فيها من وصف برٍّ أو فجور،

و المقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام.

۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

(وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ)

يخبر تعالى عن كرمه بعبده و إحسانه و بره، و قلة شكر عبده،

و أنه حين يمسه

(ضُرٌّ)

من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْرٍ أو غيره،

أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا اللّه،

(دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ)

فيدعوه متضرعا منيبا،و يستغيث به في كشف ما نزل به و يلح في ذلك.

***عِنْدَ الْحَاجَةِ يَضْرَعُ وَ يَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،كَمَا قَالَ تَعالَى:-
{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا} [الْإِسْرَاءِ:٦٧]

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ)

اللّه

(نِعْمَةً مِّنْهُ)

بأن كشف ما به من الضر و الكربة،

***فِي حَالِ الرَّفَاهِيَةِ يَنْسَى ذَلِكَ الدُّعَاءَ وَ التَّضَرُّعَ،
كَمَا قَالَ تَعالَى:-{وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَايِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ} [يُونُسَ:١٢] .

(نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ)

أي: نسي ذلك الضر الذي دعا اللّه لأجله، و مر كأنه ما أصابه ضر، و استمر على شركه.

(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا)

***فِي حَالِ الْعَافِيَةِ يُشْرِكُ بِاللَّهِ، وَ يَجْعَلُ لَهُ أَنْدَادًا.

(لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ)

بنفسه، و يضل غيره،

لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

(قُلۡ)

لهذا العاتي، الذي بدل نعمة اللّه كفرا:–

(تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ)

فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)

***قُلْ لِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ وَ طَرِيقَتُهُ وَ مَسْلَكُهُ: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا.
وَ هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَ وَعِيدٌ أَكِيدٌ،

كَقَوْلِهِ:-{قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [إِبْرَاهِيمَ:٣٠]

وَ قَوْلُهُ:-{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان:٢٤]

أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩

(أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ)

*الميسر:-أم من هو عابد لربه طائع له،

(ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ)

***جَوْفُ اللَّيْلِ
***وَ قَالَ آخرون:- أَوَّلُهُ وَ أَوْسَطُهُ وَ آخِرُهُ.

(سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا)

***حَالِ سُجُودِهِ وَ فِي حَالِ قِيَامِهِ؛

وَ لِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْقُنُوتَ هُوَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ، لَيْسَ هُوَ الْقِيَامُ وَحْدَهُ كَمَا، ذَهَبَ إِلَيْهِ آخَرُونَ.

(يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ)

*** فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ فَلْيَكُنِ الرَّجَاءُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ،

هذه مقابلة بين العامل بطاعة اللّه و غيره، و بين العالم و الجاهل،

و أن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها،

و علم علما يقينا تفاوتها،

فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه،

كمن هو (قَٰنِتٌ)

أي: مطيع للّه بأفضل العبادات

و هي الصلاة، و أفضل الأوقات و هو أوقات الليل،

فوصفه بكثرة العمل و أفضله، ثم وصفه بالخوف و الرجاء،

و ذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب،

و أن متعلق الرجاء، رحمة اللّه، فوصفه بالعمل الظاهر و الباطن.

(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ)

ربهم و يعلمون دينه الشرعي و دينه الجزائي،

و ما له في ذلك من الأسرار و الحكم

(وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ)

شيئا من ذلك؟

لا يستوي هؤلاء و لا هؤلاء،

كما لا يستوي الليل و النهار، و الضياء و الظلام، و الماء و النار.

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ)

إذا ذكروا

(أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

أي: أهل العقول الزكية الذكية،

فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى،

فيؤثرون العلم على الجهل، و طاعة اللّه على مخالفته،

لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب،

بخلاف من لا لب له و لا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾

(قُلۡ)

مناديا لأشرف الخلق،

(يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ)

و هم المؤمنون، آمرا لهم بأفضل الأوامر، و هي التقوى،

ذاكرا لهم السبب الموجب للتقوى،

و هو ربوبية اللّه لهم و إنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه،

و من ذلك ما مَنَّ اللّه عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى،

كما تقول:– أيها الكريم تصدق، و أيها الشجاع قاتل.

و ذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا

فقال:–(لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا)

بعبادة ربهم

(حَسَنَةٞۗ)

و رزق واسع، و نفس مطمئنة، و قلب منشرح، كما قال تعالى:–

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ)

إذا منعتم من عبادته في أرض،

فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، و تتمكنون من إقامة دينكم.

و لما قال: (لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ)

كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضع،

و هو أن النص عام، أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة،

فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها و يمتهن، لا يحصل له ذلك،

دفع هذا الظن بقوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾

و هنا بشارة نص عليها النبي ﷺ بقوله:-

« لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه وهم على ذلك »

تشير إليه هذه الآية، و ترمي إليه من قريب،

و هو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة،

فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها،

و هذا عام في كل زمان و مكان،

فلا بد أن يكون لكل مهاجر، ملجأ من المسلمين يلجأ إليه،

و موضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾

و هـــــذا عـــــام في جميـــــع أنواع الصبـــــر:-

١-الصبر على أقدار اللّه المؤلمة فلا يتسخطها،

٢-و الصبر عن معاصيه فلا يرتكبها،

٣-و الصبر على طاعته حتى يؤديها،

فوعد اللّه الصابرين

(أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)

أي: بغير حد و لا عد و لا مقدار،

و ما ذاك إلا لفضيلة الصبر و محله عند اللّه، و أنه معين على كل الأمور.

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾

قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾

فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ

أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ

ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا

وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ

ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا

غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾

قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾

فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ

أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

أي (قُلۡ)

يا أيها الرسول للناس:-

(إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ)

في قوله في أول السورة:-(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)

(وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ)

***الميسر:-و أمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي،**

❍لأني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم،

فيقتضي أني أول من ائتمر بما آمر به، و أول من أسلم،

و هذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد ﷺ، و ممن زعم أنه من أتباعه،

فلابـــــد مــــــن:-

١-الإسلام في الأعمال الظاهرة،

٢-و الإخلاص للّه في الأعمال الظاهرة و الباطنة.

(قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي)

في ما أمرني به من الإخلاص و الإسلام.

***وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَ هَذَا شَرْط،

وَ مَعْنَاهُ التَّعْرِيضُ بِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى

٢٣-م١٩-ص٤٦٠

(عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)

يخلد فيه من أشرك، و يعاقب فيه من عصى.

(قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي)

***وَ هَذَا أَيْضًا تَهْدِيدٌ و تَبَرٍّ مِنْهُمْ

(فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ)

كما قال تعالى:

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

(قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ)

***هَذَا هُوَ الْخَسَارُ الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ الْوَاضِحُ.

***إِنَّمَا الْخَاسِرُونَ كُلَّ الْخُسْرَانِ

حقيقــــــــة هـــــــــم

(ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)

حيث حرموها الثواب و استحقت بسببهم وخيم العقاب

(وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)

أي فرق بينهم و بينهم و اشتد عليهم الحزن و عظم الخسران

***تَفارَقُوا فَلَا الْتِقَاءَ لَهُمْ أَبَدًا،

سَوَاءً ذَهَبَ أَهْلُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَ قَدْ ذَهَبُوا هُمْ إِلَى النَّارِ،

أَوْ أَنَّ الْجَمِيعَ أُسْكِنُوا النَّارَ، وَ لَكِنْ لَا اجْتِمَاعَ لَهُمْ وَ لَا سُرُورَ

(أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ)

الذي ليس مثله خسران و هو خسران مستمر لا ربح بعده بل و لا سلامة

ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء

فقال (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ)

أي قطع عذاب كالسحاب العظيم

(وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ)

*** كَمَا قَالَ:-

{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الْأَعْرَافِ:٤١]

وَ قَالَ:{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الْعَنْكَبُوتِ:٥٥]

(ذَٰلِكَ)

الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار سوط يسوق الله به عباده إلى رحمته

(يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ)

***إِنَّمَا يقص خَبَرَ هَذَا الْكَائِنِ لَا مَحَالَةَ لِيُخَوِّفَ بِهِ عِبَادَهُ، لِيَنْزَجِرُوا عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الْمَآثِمِ.

(يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ)

***اخْشَوْا بَأْسِي وَ سَطْوَتِي، وَ عَذَابِي وَ نِقْمَتِي.

أي جعل ما أعده لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو عباده إلى التقوى

و زاجر عما يوجب العذاب

فسبحان من رحم عباده في كل شيء و سهل لهم الطرق الموصلة إليه و حثهم

على سلوكها و رغبهم بكل مرغب تشتاق له النفوس

و تطمئن له القلوب وحذرهم من العمل لغيره غاية التحذير

و ذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه

وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾

ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾

لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المنيبين و ثوابهم،

فقال: (وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا)

و المراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة غير اللّه، فاجتنبوها في عبادتها.

و هذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم،

لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها.

(وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ)

بعبادته و إخلاص الدين له،

فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام،

و من الشرك و المعاصي إلى التوحيد و الطاعات،

(لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ)

التي لا يقادر قدرها، و لا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها،

و هــــــذا شامـــــل للبشرى في الحياة الدنيـــــا بــــــ:-

١-الثنـــــاء الحسن،

٢-و الــــــرؤيا الصالحة،

٣-و العنـــــاية الربانية من اللّه، التي يرون في خلالها،

أنه مريد لإكرامهم في الدنيا و الآخرة،

و لهـــــم البشـــــرى في الآخـــــرة :-

عند الموت، و في القبر، و في القيامة،

و خاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم،

من دوام رضوانه و بره و إحسانه و حلول أمانه في الجنة.

و لما أخبر أن لهم البشرى، أمره اللّه ببشارتهم،

و ذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة

فقال: (فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ)

***يَفْهَمُونَهُ وَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى حِينَ آتَاهُ التَّوْرَاةَ: -

{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الْأَعْرَافِ:١٤٥] .

○و هذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه،

○فلهذا من حزمهم و عقلهم أنهم يتبعون أحسنه،

و أحسنه على الإطلاق كلام اللّه و كلام رسوله،

كما قال في هذه السورة:-(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)الآية.

و في هذه الآية نكتة، و هـــــــى:-

أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه،

كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب،

و حتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص اللّه عليه

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)الآية.

(ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ)

لأحسن الأخلاق و الأعمال

***في الدنيا و الاخرة

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

أي: العقول الزاكية.

○و من لبهم و حزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره،

و آثروا ما ينبغي إيثاره، على ما سواه،

و هذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك،

○فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، و قبيحها،

ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز،

لكن غلبت شهوته عقله،

فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

(أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ)

أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه و عناده و كفره،

فإنه لا حيلة لك في هدايته،

و لا تقدر تنقذ من في النار لا محالة.

(لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ)

لكن الغنى كل الغنى، و الفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة

و أنواع النعيم، ما لا يقادر قدره.

(لَهُمْ غُرَفٌ)

أي: منازل عالية مزخرفة، من حسنها و بهائها و صفائها

أنه يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها،

و من علوها و ارتفاعها،أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي

أو الغربي،

و لهذا قال:–(مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ)

أي: بعضها فوق بعض

(مَّبۡنِيَّةٞ)

بذهب و فضة، و ملاطها المسك الأذفر.

***صحيح البخاري

٦٥٥٥ - عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: -

«إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءَوْنَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ»

*** مسند أحمد ط الرسالة:-

٨٤٢٣-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ:

إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِيهَا كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ وَ الْكَوْكَبَ الشَّرْقِيَّ،

وَ الْكَوْكَبَ الْغَرْبِيَّ الْغَارِبَ فِي الْأُفُقِ الطَّالِعَ فِي تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ "

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ

قَالَ:بَلَى،وَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، أَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ، وَ صَدَّقُوا

الْمُرْسَلِينَ

(تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ)

المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة و الأشجار الطاهرة،

فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، و الفاكهة النضيجة.

(وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ)

و قد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به،

فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)

يذكر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء،

(فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ)

أي:–أودعه فيها ينبوعا، يستخرج بسهولة و يسر،

(ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ)

من بر و ذرة، و شعير و أرز، و غير ذلك.

(ثُمَّ يَهِيجُ)

عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه

***بَعْدَ نَضارَتِهِ وَ شَبابِهِ يَكْتَهِلُ

(فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا)

***قَدْ خَالَطَهُ اليُبْس،

(ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ)

***ثُمَّ يَعُودُ يَابِسًا يَتَحَطَّمُ،

○متكسرا

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

يذكرون بها عناية ربهم و رحمته بعباده

حيث يسر لهم هذا الماء، و خزنه بخزائن الأرض تبعا لمصالحهم.

و يذكرون به كمال قدرته، و أنه يحيي الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها،

و يذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة.

اللّهم اجعلنا من أولي الألباب، الذين نوهت بذكرهم،

و هديتهم بما أعطيتهم من العقول،

و أريتهم من أسرار كتابك و بديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم،

إنك أنت الوهاب.

***الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا فَيَعْتَبِرُونَ إِلَى أَنَّ الدُّنْيَا هَكَذَا،
تَكُونُ خَضِرَةً نَضِرَةً حَسْنَاءَ، ثُمَّ تَعُودُ عَجُوزا شَوْهَاءَ،
وَ الشَّابُّ يَعُودُ شَيْخًا هَرِما كَبِيرًا ضَعِيفًا قَدْ خَالَطَهُ الْيُبْسُ
وَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ الْمَوْتُ.
فَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَ حَالُهُ بَعْدَهُ إِلَى خَيْرٍ
وَ كَثِيرًا مَا يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ، وَ يُنْبِتُ بِهِ زُرُوعًا وَ ثِمَارًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ حُطاما،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الْكَهْفِ:٤٥]

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ
فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾
أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ
تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ
﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ
﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾
قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا
فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ
فَوَيۡلٌ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

(أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ)

أفيستوي من شرح اللّه صدره للإسلام،

فاتسع لتلقي أحكام اللّه و العمل بها، منشرحا قرير العين، على بصيرة من أمره،

و هو المراد بقوله: (فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ)

كمن ليس كذلك، بدليل قوله:

(فَوَيۡلٌ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ)

أي: لا تلين لكتابه، و لا تتذكر آياته، و لا تطمئن بذكره،

بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره،

فهؤلاء لهم الويل الشديد، و الشر الكبير.

(أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)

و أي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟

و من كل السعادة في الإقبال عليه، و قسا قلبه عن ذكره،

و أقبل على كل ما يضره؟

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾

(ٱللَّهُ نَزَّلَ)

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله

أنه (أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ)

على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام اللّه،

و أحسن الكتب المنزلة من كلام اللّه هذا القرآن،

و إذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ و أوضحها،

و أن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه و معناه،

(مُّتَشَٰبِهٗا)

***أَنَّ سِيَاقَاتِ الْقُرْآنِ تَارَةً تكونُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، فَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ

○متشابها في الحسن و الائتلاف و عدم الاختلاف، بوجه من الوجوه.

حتى إنه كلما تدبره المتدبر، و تفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه،

حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين،

و يجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع.

و أما في قوله تعالى:-

(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)

فالمراد بها، التي تشتبه على فهوم كثير من الناس،

و لا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم،

و لهذا قال: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)

فجعل التشابه لبعضه، و هنا جعله كله متشابها، أي: في حسنه، لأنـــه قال:-

(أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ)

و هو سور و آيات، و الجميع يشبه بعضه بعضا كما ذكرنا.

(كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا)

(مَّثَانِيَ)

أي: تثنى فيه القصص و الأحكام،

و الوعد و الوعيد،

و صفات أهل الخير،

و صفات أهل الشر،

و تثنى فيه أسماء اللّه و صفاته،

و هذا من جلالته، و حسنه،

فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق،

و أن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار،

فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت،

و كلما تكرر سقيها حسنت و أثمرت أنواع الثمار النافعة،

فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام اللّٰه تعالى عليه،

و أنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا،

و لم تحصل النتيجة منه،

و لهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له،

فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع،

بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه،

و إن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض و أكثر فائدة،

و هكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه،

فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، و نفع غزير.

○وَ تَارَةً تكونُ بِذِكْرِ الشَّيْءِ وَ ضِدِّهِ، كَذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ الْكَافِرِينَ،

وَ كَصِفَةِ الْجَنَّةِ ثُمَّ صِفَةِ النَّارِ، وَ مَا أَشْبَهَ هَذَا، فَهَذَا مِنَ الْمَثَانِي،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}

[الِانْفِطَارِ:١٤، ١٣] ،

وَ كَقَوْلِهِ {كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [الْمُطَفِّفِينَ:٧]

إِلَى أَنْ قَالَ: {كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [الْمُطَفِّفِينَ:١٨]

{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} [ص:٤٩]

إِلَى أَنْ قَالَ: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} [ص:٥٥]

وَ نَحْوِ هَذَا مِنَ السِّيَاقَاتِ فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَثَانِي،

أَيْ: فِي مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ،

وَ أَمَّا إِذَا كَانَ السِّيَاقُ كُلُّهُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا،

فَهُوَ الْمُتَشَابِهُ وَ لَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ:

{مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آلِ عِمْرَانَ:٧]

ذَاكَ مَعْنًى آخَرُ.

○و لما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثَّر في قلوب أولي

الألباب المهتدين،

فلهذا قال تعالى: (تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ)

لما فيه من التخويف و الترهيب المزعج،

(ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ)

أي: عند ذكر الرجاء و الترغيب،

فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، و تارة يرهبهم من عمل الشر.

(ذَٰلِكَ)

الذي ذكره اللّه من تأثير القرآن فيهم

(هُدَى ٱللَّهِ)

أي: هداية منه لعباده، و هو من جملة فضله و إحسانه عليهم

(يَهۡدِي بِهِۦ)

أي: بسبب ذلك

(مَن يَشَآءُۚ)

من عباده.

و يحتمل أن المراد بقوله: (ذَٰلِكَ)

أي: القرآن الذي وصفناه لكم.

(هُدَى ٱللَّهِ)

الذي لا طريق يوصل إلى اللّه إلا منه

(يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ)

ممن حسن قصده،

كما قال تعالى(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ)

***هَذِهِ صِفَةُ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَ مَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ مِمَّنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ،
{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الرَّعْدِ:٣٣] .

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ)

لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه و التوفيق للإقبال على كتابه،

فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى،

و ما هو إلا الضلال المبين و الشقاء.

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾

(أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)

أي: أفيستوي هذا الذي هداه اللّه،

و وفقه لسلوك الطريق الموصلة لدار كرامته،

كمن كان في الضلال و استمر على عناده حتى قدم القيامة،

فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء

و أدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقي فيه سوء العذاب

لأنه قد غلت يداه و رجلاه،

(وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ)

أنفسهم، بالكفر و المعاصي، توبيخا و تقريعا:–

(ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ)

***كَمَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

[الْمُلْك:٢٢] ،

وَ قَالَ: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [الْقَمَر:٤٨]

وَ قَالَ تَعَالَى{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [فُصِّلَتْ:٤٠]

وَ اكْتَفَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَحَدِ الْقِسْمَيْنِ عَنِ الْآخَرِ

(كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)

من الأمم كما كذب هؤلاء

(فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ)

جاءهم في غفلة أول نهار، أو هم قائلون.

(فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ)

بذلك العذاب

(ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)

فافتضحوا عند اللّه و عند خلقه

(وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)

فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب

فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب.

وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾
قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ
مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

(وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ)

يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميــــــــع الأمثـــــــال:-

١-أمثال أهل الخير

٢-و أمثال أهل الشر،

٣-و أمثال التوحيد و الشرك،

٤-و كل مثل يقرب حقائق الأشياء، و الحكمة في ذلك

(لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ)

عندما نوضح لهم الحق فيعلمون و يعملون.

٢٣-م٢٠-ص٤٦١

***فَإِنَّ الْمَثَلَ يُقَرّب الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [الرُّومِ:٢٨]

أَيْ: تَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَ قَالَ:

{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ} [الْعَنْكَبُوتِ:٤٣] .

(قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا)

أي: جعلناه قرآنا عربيا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصا على العرب.

(غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ)

أي: ليس فيه خلل و لا نقص بوجه من الوجوه،

لا في ألفاظه و لا في معانيه،

و هذا يستلزم كمال اعتداله و استقامته كما قال تعالى:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا)

(لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)

الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية و العملية،

بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب اللّه فيه من كل مثل

○ثم ضرب مثلا للشرك و التوحيد فقال:-(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا)

أي: عبدا

(فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ)

فهم كثيرون، و ليسوا متفقين على أمر من الأمور و حالة من الحالات حتى تمكن راحته،

بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه و يريد الآخر غيره،

فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

(وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ)

أي: خالصا له، قد عرف مقصود سيده، و حصلت له الراحة التامة

(هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ)

أي: هذان الرجلان

(مَثَلًاۚ) ؟

لا يستويان.

كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا

فتراه لا يستقر له قرار، و لا يطمئن قلبه في موضع،

و الموحد مخلص لربه،قد خلصه اللّه من الشركة لغيره،

فهو في أتم راحة و أكمل طمأنينة،

فـــــــ(هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ)

على تبيين الحق من الباطل، و إرشاد الجهال.

(بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

(إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)

أي: كلكم لا بد أن يموت

(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)

***هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا الصِّدِّيقُ ﷺ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تَحَقَّقَ النَّاسُ مَوْتَهُ،

مَعَ قَوْلِهِ:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آلِ عِمْرَانَ:١٤٤]

وَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ:-

سَتُنْقَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ لَا مَحَالَةَ وَ سَتَجْتَمِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ،

وَ تَخْتَصِمُونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَ الشِّرْكِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، فَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ، وَ يَفْتَحُ بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ،

فَيُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُوَحِّدِينَ،

وَ يُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ الْجَاحِدِينَ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ -وَ إِنْ كَانَ سِيَاقُهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكَافِرِينَ،

و ذِكْرِ الْخُصُومَةِ بَيْنَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ-

فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِكُلِّ مُتَنَازِعَيْنِ فِي الدُّنْيَا،

فَإِنَّهُ تُعَادُ عَلَيْهِمُ الْخُصُومَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

***قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ:-عَنِ الزُّبَيْرِ

قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}

قَالَ الزُّبَيْرُ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَتُكَرَّرُ عَلَيْنَا الْخُصُومَةُ؟
قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ إِذًا لَشَدِيدٌ.

(ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)

فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل،

و يجازي كُلا ما عمله (أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ)